الأسس العلمية والقواعد المنهجية لتفسير القرآن الكريم

(الأستاذ سيد قطب أنموذجاً)

تأليف

د. خير الدين خوجة (الكوسوفي)
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

جامعة طيبة - المدينة المنورة

2009

المحتوى

المقدمة		4
تمهيد	سبب اختياري البحث، إشكالية البحث، منهج البحث وتقاريظ العلماء على الأستاذ سيد قطب وتفسيره	7
الفصل الأول	سيد قطب، حياته وفكرهن آداب المفسر وشروطه	10
المبحث الأول	التعريف بهذا المفسر، مولده نشأته، أعماله واستشهاده	10
المبحث الثاني	الرد على بعض الشبهات التي قيلت في هذا المفسر وتفسيره	13
المطلب الأول	ذكر بعض الشبهات والرد عليها	13
المطلب الثاني	أصالة المنهج الذي اتبعه الأستاذ الشهيد في تفسيره	18
المبحث الثالث	آداب المفسر وشروطه والقواعد التي يجب إتباعها في تفسيره لكتاب الله	20
الفصل الثاني	الأسس العلمية والركائز الثقافية لدى المفسر الأستاذ سيد قطب	30
المبحث الأول	الركائز الفكرية والثقافية العامة – تأصيل قواعد تفسيرية (الجانب النظري)	30
المطلب الأول	سمات وملامح هذا المفسر في تفسيره	30

المطلب الثاني	الطريقة التي سار عليها في تفسيره للقران الكريم	31
المطلب الثالث	تأصيل قواعد علمية وثوابت منهجية في التفسير	33
المبحث الثاني	من نتائج و ثمار تلك الأسس الفكرية، و نماذج من تفسير الأستاذ سيد قطب تتجلى فيها آثار المؤهلات العلمية على تفسيره (الجانب التطبيقي)	36
المطلب الأول	نتائج وثمار تلك الأسس الفكرية والقواعد المنهجية	36
المطلب الثاني	نماذج من تفسير الأستاذ سيد قطب	40
الخاتمة		45
المصادر		47

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة [1]

الحمد لله الذي وفقنا لأداء أفضل الطاعات ووفقنا على كيفية اكتساب أكمل السعادات، وهدانا إلى قولنا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من كل المعاصي والمنكرات، بسم الله الرحمن الرحيم نشرع في أداء كل الخيرات والمأمورات، الحمد لله الذي له ما في السموات رب العالمين بحسب كل الذوات والصفات، الرحمن الرحيم على أصحاب الحاجات وأرباب الضرورات مالك يوم الدين في إيصال الأبرار إلى الدرجات، وإدخال الفجار في الدركات، إياك نعبد وإياك نستعين في القيام بأداء جملة التكليفات، اهدنا الصراط المستقيم بحسب كل أنواع الهدايات، صراط الذين أنعمت عليهم في كل الحالات والمقامات، غير المغضوب عليهم ولا الضالين من أهل الجهالات والضلالات. والصلاة على محمد المؤيد بأفضل المعجزات والآيات، وعلى آله وصحبه بحسب تعاقب الآيات وسلم تسليما.. أما بعد:

و مرَّ التفسير منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا بعدة مراحل، مما أدى إلى تحول مسار التفسير و ظهور اتجاهات ومناهج عديدة و بروز قراءات معاصرة

1 هذه الدراسة في الأصل ورقة علمية قدمت في المؤتمر العالمي القرآني الثاني (لجمعية المحافظة على القرآن الكريم) -2 3.08.2008 عمان – الأردن بعنوان: (فهم القرآن الكريم...مناهج وآفاق)

جديدة في تفسير القرآن الكريم، توافق أرباب المذاهب والعلوم المختلفة لدى بعض المعاصرين من أبناء جلدتنا. وتُعنى هذه القراءات الجديدة والمعاصرة استخدام النظريات الجديدة في تأويل و تفسير القرآن الكريم، والتي تؤدي إلى تحريف المعاني القرآنية وتناقضها مع الحقائق الشرعية وتعارضها مع المقاصد الإسلامية العليا. و السبب في ظهور هذه الأفكار والمذاهب الهدامة والعفنة؛ هو تلوث أفكار أصحابها بالمناهج الفكرية الغربية، و عدم احترامهم لقدسية القرآن الكريم وخصوصياته البلاغية والبيانية واللغوية، و اعتباره كسائر النصوص البشرية. أصحاب هذه القراءة المعاصرة دعوا إلى: "أَنْسَنَةِ وعَقْلَنَةِ وأرْخَنَة ِالنص القرآني، ليصلوا في النهاية إلى ربط آيات القرآن الكريم بالظروف الزمنية وعلى أنه نص تاريخي بشري ! واستخدموا مصطلحات جديدة خلاف المصطلحات الشرعية، مثل: الأبستمولوجية، والأمبريقية ، والإسلاموية، والسلفوية، والماضوية، والأنطولوجية، والبلشفية، والديالكتيكية، والزمكانية والميكانزماتية، والهرمونوطيقية، والديماغوجية...الخ، وأطلقوا على القرآن الكريم (المدونة الكبرى)، و على الآية (العبارة)، وعلى نزول القرآن (الواقعة القرآنية)... ظلمات بعضها فوق بعض. ولا شك أن هذه المدرسة ما هي إلا امتداد لمدارس أساتذتهم من المستشرقين الذين قالوا بأن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما هي إلا امتداد لليهودية و النصرانية. ومنهج هذه المدرسة هو التحكّم في النص القرآني وتأويله وفق أدوات منهجية وألسنية غربية مغايرة للقواعد و الأساليب العربية. و من الذين حملوا راية هذه القراءة المعاصرة للقرآن الكريم في هذا

العصر من يني جنسنا و أبناء جلدتنا نذكرهم لغرض العبرة والتحذير؛ محمد أركون العلماني الجزائري، ومحمد شحرور الماركسي السوري، و محمد عابد الجابري الاشتراكي، و حسن حنفي المصري أستاذ الفلسفة على الفكر الاعتزالي، وعبدالمجيد الشرفي التونسي، و جلال صادق العظم معاصر شيوعي سوري من أصل تركي. إن الأمة اليوم في أمسّ الحاجة إلى تفسير يُعيد صياغتها الفكرية من جديد، ويُخرجها من التفكك الذاتي، ويُحرّر و يفجر طاقتها الكامنة من أسر الجمود والتخلف، ويُجدّد فيها روح رسالة الاستخلاف و عمارة الكون. فالتفسير المطلوب هو ذلك التفسير الذي يخرج الأمة عن واقع التخلف ويلحقها بركب التنمية الحضارية والصناعية والإبداعية. مما لا شك فيه أن هذه القراءات المعاصرة آيلة إلى الفشل والسقوط بسبب جهلها بالقرآن الكريم وخصائصه اللغوية و أساليبه البيانية ومدلولاته البلاغية ومناهجه التفسيرية الصحيحة. إن المنهج الحركي التطبيقي الذي ندعو إليه، لجدير في هذا العصر بأن يُنْعَمَ النظر فيه و أن يُتبنّ في تفسير القرآن الكريم و فهمه و تدبره و قراءته، حتى تخرج الأمة الإسلامية من أزماتها الفكرية والنفسية والتربوية والأخلاقية والاقتصادية والدينية، و الذي سماه الأستاذ الشهيد سيد قطب: بالمنهج الحركي أو الديناميكي.

وأما طبيعة ومفهوم هذا المنهج التطبيقي الحركي، فقد بينه رحمه الله في مواطن عديدة من تفسيره ومؤلفاته قائلاً: "..إن - المسألة في إدراك مدلولات هذا القرآن و إيحاءاته..إنما هي استعداد النفس برصيد من المشاعر والمدركات والتجارب، تشابه المشاعر والمدركات

والتجارب التي صاحبت نزوله وصاحبت حياة الجماعة المسلمة وهي تتلقاه في خضم المعترك..معترك الجهاد، جهاد النفس وجهاد الناس..جهاد الشهوات وجهاد الأعداء..جو مكة والدعوة الناشئة، والقلة والضعف، والغربة بين الناس..جو الشِّعَب والحصار، والجوع والخوف والاضطهاد والمطاردة، والانقطاع إلا عن الله..ثم جو المدينة: جو النشأة الأولى للمجتمع المسلم بين الكيد والنفاق..في هذا الجو الذي تنزلت فيه آيات القرآن حية نابضة واقعية..كان للكلمات و للعبارات دلالاتها وإيحاءاتها..إن طبيعة هذا الدين ترفض اختزال المعارف الباردة في ثلاّجات الأذهان الجامدة !.. إن " المعرفة " في هذا الدين تتحول لتوّها إلى " حركة "، و إلا ليست من جنس هذا الدين!..ومن ذلك تنزلت الأحكام التشريعية كلها في المدينة كحركة في المجتمع المسلم الذي قام هناك، ولم ينزل حكم واحد منها في مكة ليختزن – كمعرفة مجردة – حتى يجئ وقت التنفيذ في المدينة ! إن المعرفة للمعرفة ليست منهجاً إسلامياً. في الإسلام المعرفة للحركة، والعلم للعمل، والعقيدة للحياة..وطبيعة المنهج الحركي الإسلامي أن يقابل هذا الواقع البشري بحركة مكافئة له ومتفوقة عليه، في مراحل متعددة ذات وسائل متجددة..ومن أجل أن الجاهلية لا تتمثل في «نظرية » مجردة، ولكن تتمثل في تجمع حركي على هذا النحو؛ فإن محاولة إلغاء هذه الجاهلية، ورد الناس إلى الله مرة أخرى ، لا يجوز - ولا يجدي شيئاً - أن تتمثل في « نظرية » مجردة. فإنها حينئذ لا تكون مكافئة للجاهلية القائمة فعلاً والمتمثلة في تجمع حركي عضوي..إن منهج التلقي

للتنفيذ والعمل هو الذي صنع الجيل الأول. ومنهج التلقي للدراسة والمتاع هو الذي خرّج الأجيال التي تليه.."،

فرحم الله أستاذنا رحمة واسعة، والله أعلم، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحابته أجمعين.

المدينة المنورة/ 12 ربيع الأول/ 1429 هـ الموافق 20.03.2008

تمهيد : سبب اختيار البحث، إشكالية البحث، منهج الباحث و تقاريظ العلماء على الأستاذ سيد قطب و تفسيره

سبب اختيار البحث: أثناء قراءتي ومطالعتي لهذا التفسير العظيم، وجدت نفسي أمام موسوعة علمية دعوية ضخمة، متشعبة الأطراف مترابطة الأفكار. وجدت نفسي أمام عالم لغوي ومفكر إسلامي قد مسك بزمام اللغة العربية وناصيتها، يحركها ويطاوعها كيفما يشاء. قد لانت العبارات وانقادت له والكلمات و التعبيرات. كيف لا تنقاد لأمثاله وقد سخر قلمه في خدمتها من خلال الكتابة و التأليف في الأدب و الشعر فترة من العمر غير قصيرة، حتى أصبح رائد هذا العصر في المجال الأدبي والبلاغي، وفي علم المعاني والبيان و البديع.

وجدت نفسي أمام مفكر ألمعي قد استوعب وفهم حقيقة و فلسفة الدعوة إلى الله تبارك وتعالى بكل أبعادها؛ الإنسانية و الدينية و الاجتماعية و العلمية، وأدرك أهمية و طريقة إنزال أحكام الشريعة الإسلامية إلى أرض الواقع. وقفت أمام أستاذ قد درس

القوانين الوضعية و النظم البشرية؛ من شيوعية وديمقراطية و رأسمالية واشتراكية و علمانية و إلحادية. وقفت أمام رجل عرف و سبر أساليب الطغاة والمبشرين والمنصرين من المجرمين. لقد اطلع على أهدافهم ومؤامراتهم و مدى حبهم لهذا الدين و أهله.

لقد جاء تفسيره هذا مخالفًا تماما للتفاسير التقليدية الأخرى. فمن خصائص تلك التفاسير التقليدية غلبة الجانب اللغوي أو الفقهي أو الكلامي الفلسفي..الخ. أما تفسير الأستاذ سيد قطب، فإننا نستطيع أن نلاحظ فيه بوضوح أن الجانب الدعوى و الحركي والإصلاحي والتجديدي و الروحي قد غلبت وطغت على بقية الجوانب، وهذه الجوانب كانت السمات و الملامح الأساسية لهذا التفسير والمفسر، مما دفعني إلى اختياره ودراسته و تقديمه كنموذج صالح للمفسر المنشود في العصر الحديث.

و أما إشكالية البحث؛ فقد لوحظ أن هناك انحرافاً عن منهج القرآن الكريم في تفسير آياته وتدبر معانيه. و يرجع سبب هذا الانحراف إلى عدة أسباب و عوامل، منها: تفاوت مفاهيم الناس لفلسفة الدعوة و أبعادها الدينية و التربوية، واختلاف الرؤية التي ينظر منها أصحاب التخصصات الدينية المختلفة، وعدم الأخذ بعين الاعتبار أحوال المخاطبين وفقه واقعهم، و قلة العلم بالأحكام الشرعية، وعدم فقه فلسفة التفسير ومبادئه و شروطه و آدابه. ومن الذين نحسبهم، و الله حسيبهم – و لا نزكي على الله أحداً - أنهم فهموا فلسفة الدعوة إلى دين الله و تكاملت عنده أدوات وشروط وآداب المفسر؛ هو الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله.

أما منهجي في هذا البحث؛ فسيكون استقرائياً وصفياً وتحليلياً، مع عرض نماذج تطبيقية من أفكاره وآرائه؛ سواء أكان ذلك من تفسيره أو من مؤلفاته الأخرى، حتى نقف على آثار ونتائج تلك المؤهلات العلمية والثقافية التي كان يتمتع بها هذا المفسر المعاصر. أما

البحث في العلوم الشرعية عامة وفي شروط التفسير و آدابه خاصة من أهم ما يجب الاعتناء به والتعرف عليه، حتى يصفو مشرب المفسر، ويحفظ روعة الوحي وجلاله.

تقاريظ العلماء على الاستاذ سيد قطب رحمه الله:

" ...إن سيداً رحمه الله قد كتب تفسيره مرتين: مرة بمداد العالِم، وأخرى بدم الشهيد ...حروف القرآن نور ...و دماء الشهداء نور ...و" ظلال القرآن" نور على نور .." [2].

"..وقد لقي الرجل ربه شهيداً في سبيل عقيدته، و ترك تراثه الفكري وفي مقدمته كتابه في تفسير القرآن، المسمى: في ظلال القرآن ..."، "... و هو بحق ثروة فكرية اجتماعية هائلة لا يستغني عنها المسلم المعاصر ..." [3].

".. فإن (في ظلال القرآن) من أهم التفاسير لكتاب الله تعالى، و إنه يمثل لوناً جديداً في التفسير ونقلة بعيدة فيه، وأساساً لمدرسة جديدة فريدة متميزة في التفسير هي مدرسة (التفسير الحركي)، وإن سيد قطب يقف بظلاله رائداً للفكر الإسلامي المعاصر، ومجدداً في موضوعات أساسية في التفسير ..." [4].

2 زرزور، عدنان محمد، **مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه**، دار القلم، دمشق، ط3، ص :261-270

3 القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن** ، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط 5-1981، ص 334-335

4 الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **في ظلال القرآن في الميزان** ، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة السعودية، ط1986،1، ص 5:

"...يعتبر الظلال لوناً جديداً خاصاً فريداً من التفسير و يعتبر نقلة جديدة بعيدة في التفسير...يمكن أن تعتبر سيد قطب مفسراً موهوباً و مؤسساً لمدرسة متميزة فريدة في التفسير.."[5].

" لا شك أن الحديث عن سيد قطب –رحمه الله – تنصت له القلوب قبل الآذان، لا لأنه سيد قطب، ولكن لأنه مثال الداعية الذي أبى أن يخضع لجبروت الطاغية، فباع حياته ثمناً للدفاع عن عقيدته، نحسبه كذلك و لا نزكي على الله أحداً.."[6]

وإن كان لنا من حق في الأضافة لما سبق من كلام هؤلاء الأفاضل من العلماء والدعاة و خادمي القرآن..فإننا نقول: إن كلام الأستاذ سيد قطب في تفسيره في ظلال للقرآن يخرق القلوب والعقول والوجدان والعاطفة خرقا دون استئذان من صاحبها...فلعل ذلك راجع إلى إخلاص صاحب ظلال القرآن والله أعلم، هذا ظننا فيه ولا نزكي على الله والله حسيبه...فرحمه الله رحمة واسعة.

5 الرومي، فهد بن عبد الرحمن؛ **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، مكتبة الرشد، الرياض، ط4، 2002، ج 3، ص: 988، نقلاً عن: **في ظلال القرآن – دراسة و تحقيق**: د/ صلاح عبد الفتاح دحبور، ص: 212-213

6 من كلام الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي يحفظه الله، المرجع السابق، ج3، 998

الفصل الأول: سيد قطب: حياته و فكره، آداب المفسر و شروطه

المبحث الأول: التعريف بهذا المفسر؛ مولده، نشأته، أعماله واستشهاده

سيد هو ابن قطب بن إبراهيم بن حسن الشاذلي. ولد في التاسع من شهر أكتوبر عام ست وتسعمائة و ألف للميلاد (10/9/ 1906 م)، بقرية موشا، إحدى قرية من قرى الصعيد، تتبع محافظة أسيوط، التي قدم إليها جده الخامس من الهند [7]. أحدث مولده حدثاً سعيداً لأمه بصفة خاصة لأنه طمأنها على استمرار واستقرار حياتها الزوجية، ولا سيما أنها الزوجة الوحيدة لأبيه الذي ينتمي إلى مجتمع قروي صعيدي الذي يعتبر الرجال ثروة للمفخرة و التكاثر.." [8].

لقد ولد رحمه الله : " في مجتمع قروي صعيدي الذي أحاط به آنذاك غلب الفقر وغلب الحرمان، غلب الجهل والمرض والكد المتواصل في الأرض والزرع، وغلب الجور من الحكام، حتى سيّرت الحياة فيه خرافات التقاليد و بدع المعتقدات، وحكّمته قوانين اللصوص والمناسر.."[9]. كان أبوه ميسور الحال، كريم الإنفاق[10] .

---

7 الرومي، فهد بن عبد الرحمن؛ **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، مكتبة الرشد، الرياض، ط4، 2002، ج 3، ص:989

8 انظر:**الأعلام قاموس التراجم** ، لـ:خيرالدين الزركلي ، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين ،ط7-1987، ج 3،ص:147-148 .

9حسين، عبد الباقي محمد ،**سيد قطب حياته و أدبه** ، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط 1-1986م ، ص :17، نقلاً عن:طفل في القرية،ص211-212.وانظر:**سيد قطب الشهيد الحي**، عبد الفتاح صلاح الخالدي ، ص:46 فما بعد .

10 بركات، محمد توفيق، **سيد قطب خلاصة حياته، منهجه في الحركة، النقد الموجه إليه**، ص : 9 .

وفي 1948/11/3 م سافر سيد قطب إلى أمريكا [11] في بعثة علمية من وزارة المعارف للتخصص في التربية وأصول المناهج الأمريكية. أحدث سفر الأستاذ الشهيد سيد قطب إلى أمريكا تغييراً جذرياً في فكره، ولكن على عكس ما كانوا يتوقعون منه. فلقد ازداد الرجل إيماناً ويقيناً بالله أكثر من ذي قبل. فقد استيقن أن ما عند الإسلام من منهج ونظام وعقيدة للحياة هو الحق، وأن ما عند غيرهم هو الباطل..وعندما رجع سيد قطب من أمريكا ألف كتابه : (أمريكا التي رأيت)، و كان قد زود نفسه وفكره بالإيمان و شعور بالمسؤولية التي على عاتقه كداعية ومفكر.

مؤلفاته و آثاره

خلف الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله مكتبة ضخمة من المؤلفات المنشورة وغير المنشورة ومئات المقالات المنشورة في الصحف و الجرائد والمجلات، و في هذه الثروة الضخمة لأكبر دليل على سعة علم الرجل و ثقافته. ويمكن تقسيم هذه الثروة العلمية الغالية باعتبار المراحل والتطورات الفكرية التي مر بها هذا العَلَم في حياته،إلى مرحلتين: الأولى:كتب ومؤلفات ما قبل انتسابه إلى الإخوان المسلمين، الثانية: كتب و مؤلفات ما بعد انتسابه إلى الإخوان المسلمين، أو بعد تفرغه للكتابات الإسلامية تفرغاً كاملاً. وفي حقيقة الأمر هذه مسألة مهمة للغاية، لأن معرفة مؤلفات الأستاذ حسب التسلسل التاريخي والمراحل الزمنية التي كتبها، مهم جداً لملاحظات التطورات الفكرية التي مر بها. و قد بلغ عدد مؤلفات الأستاذ الشهيد قرابة 80 مؤلفاً في مختلف المجالات الفكرية و الدينية و

11 أنظر :**الأعلام** للزركلي،ج3،ص : 147-148 .

الأدبية، ما عدا كتابه الأم (في ظلال القرآن)، و ذلك حسب دراسة وإحصائيات الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي حفظه الله، بالإضافة إلى مئات المقالات التي كان يكتبها يومياً للصحف و المجلات المختلفة. و نظرًا لكثرة عناوين مؤلفاته فإن هذه الورقة العلمية المعدة للمؤتمر العالمي، ذات الصفحات المحدودة لا تسمح لي بأن أسرد وأذكر كل تلك الأعمال و المؤلفات[12]، و إلا لذكرتها.

استشهاده

خاض الأستاذ الشهيد سيد قطب كل مراحل الصراع والمحن التي بدأت منذ عام 1954م، وقد أدرك الأستاذ سيد قطب هذا المعنى، و أكد عليه في مواضع عديدة في تفسيره وكتبه؛ أن طريق الدعوة إلى الله ليس مفروشاً بالزهور والرياحين، بل هي مليئة بالأشواك والعقبات. قُدّم للمحاكمة مع الكثيرين من الإخوان، وأصدرت السلطات المصرية الحكم عليه و على سبعة من إخوانه بالإعدام، ونفذ فيه الحكم بالإعدام في فجر الاثنين 13/جمادى الأولى / 1386 هـ، الموافق 1966/8/29 م. و بعد إصدار الحكم عليه قال الشهيد كلمته المشهورة : (الحمد لله لقد عملت خمسة عشر عاماً من أجل الحصول على الشهادة)[13] .

فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وجعلنا الله من أمثاله ومن الذين لا يخشون أحداً إلا الله، وأن لا يأخذنا في الله لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

---

12 أنظرللمزيد: الخالدي ، **سيد قطب الشهيد الحي**، ص :219- 220 .

13 أنظر: **سيد قطب حياته و أدبه**، ص:47-48 ، وكذلك انظر: **سيد قطب سيرة ذاتية، ص:** 49

المبحث الثاني: الرد على بعض الشبهات التي قيلت في حق هذا المفسر وتفسيره و ندرة المنهج الذي اتبعه في تفسيره

المطلب الأول: ذكر بعض الشبهات و الرد عليها

لله در القائل: (**و إذا أراد الله نشر فضيلة طويت – أتاح لها لسان الحسود**). لم يسلم الأستاذ سيد قطب من التهم و الافتراءات من قبل أعدائه و خصومه، سواء المسلمون منهم أو غير المسلمين. ومن الذين نالوا من قدره و حطوا من شخصه كثيرون، نخص من بين هؤلاء؛ الدكتور ربيع بن هادي المدخلي، والدكتور أحمد صلاح الدين الموصللي الذي قال: "..ولكن قطب لم يكن لديه معرفة عميقة بالفلسفة و العلوم و التاريخ ، أو حتى بالعلوم التقليدية، فبالرغم من أن معرفته كانت تتسم بالشمولية وتعدد الحقول، لم يكن سيد قطب عالماً بالمعنى العلمي الأكاديمي...و أنه أبدى فقراً في فهم النبوة ...وأن المفكرين الآخرين و حتى غير مسلمين أعطوا للرسول و دوره فهماً أفضل من سيد قطب، وأن الكثير من أفكار سيد قطب مشابهة لأفكار الفلاسفة ..." 14.

أما قوله: " **بأن سيداً لم يكن عالماً** "، فمقتضى هذا الكلام أنه جاهل..!؟ فهذه الدعوى تحتاج إلى دليل لإثباتها تمشياً مع القاعدة العلمية عند علماء المسلمين: **(إن**

14 أنظر :**الفكر الإسلامي المعاصر – دراسات و شخصيات – سيد قطب –** بحث مقارن لمبادئ الأصوليين والإصلاحيين د /أحمد صلاح الدين الموصللي ، ص :46 –56 – 57 – 152

كنت ناقلاً فالصحة أو مدعياً فالدليل). فللأسف الشديد لم نر الدليل في كتاب هذا الأستاذ الأكاديمي!؟ لقد كثرت اتهاماته للسيد قطب عشوائياً دون أن يثبت لنا شيئاً من تلك الافتراءات في كتابه هذا، أو على الأقل أن يذكر خطأ واحداً من أخطاء سيد قطب في التاريخ أو في الفلسفة أو العلوم الأخرى ..لأن من شأن الجاهل أن يتخبط خبط عشواء، أو ويخطئ أو يخون في النقل أو يغلط أو تنزلق قدمه أو ينزلق لسانه..الخ، و هذا مما لم يذكره لنا الأستاذ المذكور. فإلى كلام الأستاذ الأكاديمي تطرق احتمال كبير، و مع الأسف يسقط به الاستدلال، ولا يلتفت إليه، و الله أعلم. أما اتهامات وافتراءات الدكتور ربيع بن هادي المدخلي غفر الله لنا و له[15]، فليس هذا مجال مناقشتها و الرد عليها. بل لا أبالغ، إن

15 و راجع للمزيد حول هذه الافتراءات و الأكاذيب في حق الأستاذ الشهيد: **العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم**، ربيع بن هادي عمير المدخلي، مكتبة الفرقان،ط2، 2001، عجمان، الإمارات العربية المتحدة، و قد صدر هذا الكتاب بمقدمة من الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني رحمه الله، تورط هو الآخر في هذه المشكلة ووافق الأستاذ ربيع المدخلي وأثنى عليه ثناء حسناً، و الله المستعان!! و انظر أيضاً: **الحد الفاصل بين الحق والباطل**، ربيع بن هادي عمير المدخلي، 2000، (ط.د.)، عجمان، الإمارات العربية المتحدة؛ **المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال**، 1998، ط2، عجمان، الإمارات العربية المتحدة، للمؤلف المذكور السابق؛ فقراءات وانتقادات الأستاذ ربيع بن هادي المدخلي تتسم بالانتقائية والجزئية والسطحية لبضعة من مؤلفات الأستاذ الشهيد سيد قطب، (لثمان مؤلفات فقط كما صرح هو بذلك)، من مجموع ثمانين مؤلفاً كما ذكرنا في ترجمته. و أيضاً تتسم بالتلفيقية بين كلامه هو، و بين كلام وفتاوى وآراء العلماء والمشايخ في المملكة العربية السعودية عندما سئلوا: ما رأيكم فيمن يقول كذا و كذا (دون ذكر لاسمه)، و يقتبسون سطراً واحداً من كلام الأستاذ سيد قطب، دون أن يذكروا حتى اسم الأستاذ أو شيئاً من جهوده المباركة ! و ذلك للإيهام و التمويه و التضليل. فكانت الإجابات من هؤلاء العلماء الأفاضل، إلا ما رحم الله، دون أن يفهموا حقيقة السؤال أو السائل أو المستفتي. فلا أدري كيف خفي على الدكتور المدخلي الحقيقة العلمية؛ أنه لم يكن من منهج السلف الصالح تتبع زلات الآخرين! و الله المستعان. كما أنها أيضاً تتسم بالتحريضية و العداوة ضد مؤلفات الأستاذ سيد قطب. تظهره هذه الحقائق لكل من يطالع ردوده على الأستاذ سيد قطب. وانظر أيضاً: **أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب و فكره** للمؤلف المذكور؛ وانظر أيضاً: **الأضواء السلفية على الجماعة الإخوانية**، تأليف أم أيوب نورة بنت أحسن غاوي، ط1، 2004، مجالس الهدى للإنتاج و التوزيع، الجزائر، حيث لم تسلم هذه الكاتبة أيضاً من الوقوع في

قلت إن من يملك ذرة من الثقافة الإسلامية إذا قرأ تلك الافتراءات التي سطرها الأستاذ المذكور في كتبه في حق الأستاذ سيد قطب، سيدرك تمام الإدراك وسيستيقن أنها تفقد الموضوعية و المنهجية العلمية في النقد البناء. و قد رجعت بنفسي إلى تلك الكتب و المقالات الانتقائية و القراءات الجزئية، فوجدتها، و الله أعلم، أن صاحبها ما أراد بذلك وجه الله عز وجل، بقدر ما أراد التشهير والاشتهار، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

و لا تفوتني في هذه المناسبة المباركة، دفاع المجاهد الشهيد عبد الله عزام رحمه الله عن سيد قطب في كتابه: (**عملاق الفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب**)، عندما طالب الشهيد عزام من الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله أن يعتذر من سيد قطب...قال الشيخ الشهيد عبد الله عزام قولته المشهورة المبنية على العلم و الفقه و الفهم الأصيل للإسلام و أصوله..قال: " كان الأولى و الأورع في دين الله قبل أن نتهم سيد قطب بالقول بوحدة الوجود، أن نقرأ له أولاً، ثم بعد ذلك نقدم المنطوق الصريح له على المنطوق غير الصريح، و نقدم المفسر من قوله على القول المبهم له، و نقدم بالترجيح المنطوق على المفهوم، ونقدم عبارة النص على إشارة النص. هذه من القواعد الأساسية في علم الأصول للخروج بأحكام. فإذا تعارضت النصوص لا بد من الجمع أولاً، ثم النسخ، ثم الترجيح.."

مثل هذه التناقضات و الترهات، حيث صدرت كتابها بمقدمة من الشيخ العلامة المجاهد، الدكتور ربيع بن هادي المدخلي، كما سمته هي !!

[16]. لعمري إن هذا الحكم هو حق الإنصاف و عين العدل..فرحمكما الله عز وجل أيها الشهيدين الفاضلين.

و يمكننا أن نجمل الشبهات التي أثيرت حول تفسير " في ظلال القرآن" في شبهتين هما :

1. **شروط المفسر غير متوفرة في شخصية و فكر سيد قطب رحمه الله ؟!**
2. **تفسير " في ظلال القرآن" يخالف منهج أهل السنة والجماعة في التفسير؟!**

أ- قد قام بعض الباحثين والدارسين الفضلاء المهتمين بهذه القضية بتفنيد هاتين الشبهتين، وللأهمية نذكر مقتبسات من كلامه: " إن الشبهة الأولى لا تقوم على أي أساس علمي، بل هي فرية يطلقها أعداء الشهيد سيد قطب رحمه الله و هي دعاية مغرضة ضد تفسيره "في ظلال القرآن" الذي يعتبر بحق أهم تراثه الفكري...ولعلنا إذا رجعنا إلى ترجمة سيد قطب، سنجد أنه حفظ القرآن ولم يبلغ العاشرة من عمره... وفضلا عن ذلك فسيد من خريجي كليه دار العلوم، وهي معقل لعلوم اللغة العربية، والدراسات الإسلامية فكيف يقال عنه إنه لا تتوفر فيه شروط المفسر؟.

16 **الأضواء السلفية على الجماعة الإخوانية**، ص: 192، نقلاً عن: عملاق الفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب، للشيخ عبد الله عزام.

ثم إذا دققنا النظر في شخصية سيد قطب العلمية، وجدناه متوفرا على أهم الشروط العلمية والأدبية والأخلاقية، التي تؤهله لأن يكون مفسرا للقرآن الكريم. ويمكننا أن نحددها في النقط التالية:

1- كان سيد قطب رحمه الله على معرفة تكاد تكون تامة باللغة العربية، كما أنه خبير الأساليب العربية، واطلع على خفاياها البلاغية، ويتضح لنا ذلك من خلال كتاباته الأدبية والنقدية.

2- يملك سيد قطب رحمه الله موهبة أدبية ، وطاقة فكرية، مكنته من أن يبدع في مختلف الأجناس الأدبية، كالقصة، والشعر.

3- كان سيد قطب على اطلاع واسع على الفكر الغربي، ووعي شامل بمشكلات العصر وأزماته، مما جعله يضع يده على مكمن الداء في الأمة الإسلامية، ويعالج قضاياها ومشكلاتها من وجهة نظر إسلامية.

4- ومن أهم آداب المفسر التي كان يتمتع بها سيد قطب رحمه الله؛ الإخلاص وصدق التوجه إلى الله تعالى، وقد زادت الابتلاءات المتوالية عليه تأكيد إخلاصه، وسعيه إلى مرضاة الله، وزهده في الدنيا وإصراره على قول كلمة الحق، ولو كان ذلك يساوي حبل المشنقة، وقد حصل!.

ب- أما الشبهة الثانية والتي يدعي أصحابها أن " في ظلال القرآن" يخالف منهج أهل السنة

في التفسير، المبني على القواعد الخمس الأساسية: تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالسنة النبوية الشريفة، تفسير القرآن بقول الصحابة، تفسير القرآن بقول التابعين و تفسير القرآن بمطلق اللغة. نحب أن نوضح أن منشأ هذه الفرية هو السطحية في قراءة ودراسة "في ظلال القرآن"، وتعميم الأحكام المستخلصة من دراسة جزء بسيط من التفسير على التفسير كله...وهناك نقطة أخرى قد تزيل كثيرا من اللبس والغموض، وتبوئ تفسير "في ظلال القرآن" مكانته المتميزة، وهي أنه على خلاف ما يدعى من أن هذا التفسير تفسير أدبي أو اجتماعي، أو هما معا، فإن التفسير في حقيقته غير ذلك كله، وتصنيفه التصنيف الصحيح لا يتم إلا بدراسة نصية مقارنة، ومتأنية، ولعل دراسة من هذا النوع تكشف عن مقومات وخصائص منهجية وتصورية، تجعل في "ظلال القرآن" تفسيرا متميزا عن التفاسير ذات الصبغة الأدبية، أو الاجتماعية، ويمكننا بعد قيامنا بدراسة مستفيضة لهذا التفسير أن نؤكد بأن له منهجًا خاصا، وتصورًا خاصًا يميزانه عما سواه، بل حتى الهدف من إعداده، وإخراجه إلى الناس، هدف خاص ومتميز، فصاحبه قد أعده ليكون زادا للمسلم المعاصر ليتسلح به في معترك الحياة، وليحيا به حياة إسلامية، وليدفعه إلى الحركة والعمل والجهاد من أجل إقامة مجتمع مسلم. ومن ثم نرى أن يسمى هذا التفسير بإحدى التسميتين: تفسير حركي للقرآن الكريم، وتفسير داعية.

والنظر إلى تفسير سيد قطب من هذه الزاوية - أي على أنه تفسير حركي أو تفسير داعية - سيجعلنا ندرك الأسباب التي جعلته، لا نقول يتخفف من الالتزام الحرفي بمنهج

أهل السنة في التفسير، ولكن لا يكرر ما يوجد في كل تفاسير القرآن الكريم - قديمها وحديثها- فهو لم يرد لتفسيره أن يكون اجترارًا لما سبق... ولم يرد أن يضيع طاقته ووقته في مواجهة عصره بكل تياراته الفكرية، واتجاهاته السياسية وخططه الاقتصادية، وأنماطه الحضارية، وإنما أراد أن يطلع الناس على ما يتضمنه القرآن الكريم من عقيدة توقظ الضمير، وتملأ القلب، وتحرك الجوارح، وتدفع إلى العمل والكفاح من أجل إثبات الذات، وتحقيق الكرامة الضائعة، وسحق المؤامرة، ودحر أعداء الإسلام في الداخل والخارج، ثم العمل على أن يعود الإسلام مرة ثانية لقيادة البشرية. فتفسير" في ظلال القرآن "، قد جاء استجابة لحاجة إيمانية وثقافية للمسلم المعاصر، ولذلك نجد سيد قطب في تفسيره هذا، يبعد عن الخوض في القضايا الفلسفية أو الكلامية، أو الرد على الشبهات، أو الجدل العقيم، ويوجه كل همه إلى عرض التصور الإسلامي بأسلوب جزل بسيط، وخال من كل تعقيد، وذلك حتى يكون لدى المسلم عقيدة صحيحة، وفهما سليما لمبادئ ومفاهيم الإسلام الأساسية، يشكلان في مجملهما حصانة ضد أي غزو ثقافي وتدفعانه بالتالي إلى تحقيق الإسلام جملة وتفصيلا في عالم الواقع، بقلب مؤمن، وجنان ثابت، وعزيمة قوية، وبحماسة، وصدق، وإخلاص..."17.

17 http://www.tafsir.org/vb/archive/index.php?t-6231.html، انظر: دراسة الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي في موسوعته التفسيرية؛ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر منهج الأستاذ سيد قطب في تفسيره، لتقف على هذه الحقائق المذكورة آنفاً: ج3، ص: 998-1051، فقد رأيت الأستاذ الدكتور فهد الرومي منصفاً و موضوعياً في حق الأستاذ سيد قطب رحمه الله و جزاه الله خيراً. و لعل هذا يعود إلى بركة عمله في التفسير و جهود المفسرين في خدمة

ونضيف هنا و نقول بأن دراستنا أثبتت أن منهج الأستاذ سيد قطب في تفسيره هو عين منهج أهل السنة و الجماعة، و لم يشذ عنهم، والله أعلم.

المطلب الثاني: أصالة المنهج الذي اتبعه الأستاذ الشهيد في تفسيره

علاوة على ما تقدم في تفنيد تلك الشبهات المثارة على الأستاذ سيد قطب ومنهجه في الدعوة والتفسير، فإنني أود أن أضيف و أن أؤكد؛ بأننا إذا أخذنا بعين الاعتبار الظروف السياسية والاجتماعية والأدبية التي أحاطت بعصر الأستاذ سيد قطب رحمه، فإننا حتماً سنفهم سر و حكمة منهج الأستاذ سيد قطب في تفسيره ودعوته إلى الله تعالى. لقد انطلق هذا المنهج في تفسيره خاصة و في مؤلفاته عموماً من مبدأ التركيز على دعوة المسلمين إلى إصلاح العقيدة على حقيقة الألوهية والعبودية، ثم دعوتهم إلى إصلاح حياتهم ومعاشهم وفق منهج قرآني، و بيان منهج القرآن في القضاء على التصورات الغربية الجاهلية، ثم تصحيح مناهجهم الفكرية و النظرية ودعوتهم إلى منهج معرفي و تربوي.

هذا المنهج علاوة على ما ذكر؛ فقد ركز على دعوة الكافرين إلى الإسلام بعدة طرق؛ منها طريق النظر و التأمل في آيات الكون، والمجادلة بالتي هي أحسن، مع مراعاة أحوالهم و

كتاب الله عز وجل. وكذا راجع للمزيد دراسة الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: **في ظلال القرآن في الميزان- دراسة و تقويم**، ص: 60-150.

فقه واقعهم. هذا المنهج يفرض على الداعية أن يشرع أولاً بالدعوة إلى الله تعالى دون الدعوة إلى أسس قومية أو مبادئ أخلاقية أو ضوابط اجتماعية. وكشف هذا المنهج على جملة من الصفات والمكونات الفكرية والروحية والسلوكية، التي يجب أن يتحلى بها الداعية والمفسر في هذا العصر. لقد انفرد الأستاذ الشهيد بمنهجه الفريد والدقيق، ذي الأبعاد التربوية والدينية والتطبيقية؛ عن مناهج بقية الدعاة البارزين في الساحة الإسلامية. يبدو ذلك جليًا في مؤلفاته كلها، وخاصة في كتابه الأم: (في ظلال القرآن). وشاءت حكمة الله تعالى أن يكون جزاء هذا الفهم الدقيق والمنهج الفريد هو الاستشهاد في سبيل الله ليكون قدوة حسنة للمسلمين عامة و للدعاة خاصة إلى يوم القيامة.

لقد أبدى الأستاذ سيد قطب رحمه الله عصارة فكره وخلاصة تجربته في هذا الكتاب. ولقد نال هذا الكتاب بفضل الله عز وجل ثم بفضل إخلاص صاحبه، شهرة عظيمة، وتلقته الأمة بالقبول وأصبح له مكانة مرموقة وسامية لدى كافة الدعاة في العالم الإسلامي، بل وحتى غير الإسلامي. إن تفسير الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله: "في ظلال القرآن " يعتبر بحق من أهم التفاسير والمصادر في هذا العصر من حيث: الفهم العصري المنضبط للآيات، ومن حيث ربط أحداث الواقع و مستجدات الحياة بالنصوص القرآنية. كما يمتاز هذا التفسير من حيث المضمون و الجوهر، حيث يكمن فيه السر الخفي العجيب، الجذاب والمؤثر، والطريقة المثلى في استنباط الدروس والعبر من الآيات القرآنية، لإرشاد المسلم والداعية في مواجهة تحديات العصر والمجتمع الذي يعيش فيه، و

لعل هذا يعود إلى إخلاص و تفاني كاتبه رحمه الله، والله أعلم، مما لا يعني هذا في حال من الأحول الاستخفاف بالتفاسير الأخرى أو التقديس و العصمة والإطراء لشخص الأستاذ سيد قطب رحمه الله. فلا يتوهّمنّ متوهّم شيئاً من ذلك..لكل من التفاسير قيمتها وفضلها الخاصة بها، كما أن كل المفسرين يسبحون ضمن الإطار البشري؛ يصيبون و يخطئون، والله أعلم.

المبحث الثالث: آداب المفسر وشروطه والقواعد الواجب اتباعها في تفسيره لكتاب الله

إن علم التفسير علم قابل للنمو، ذلك لأن العلوم أنواع؛ منها ما بلغ الغاية في النضج حتى أنه احترق، وهو علم النحو، ومنها علوم نضجت ولكنها لم تحترق، ومنها علوم مازالت في طريق النضج [18]. فمن أراد أن يفهم القرآن أو يفسره، فليُعِد له عدته وليتأهب له عقلياً وعلمياً ونفسياً، فإنما هو مخلوق يفسر كلام الخالق، وهو مخلوق يمثل ما في المخلوقات من قصور وعجز، ومحدود بحدود الزمان والمكان والإمكان، أمام الواحد القهار الذي لا يحد علمه ولا مشيئته ولا قدرته شئ [19].

لقد اشترط العلماء في المفسر الذي يريد تفسير القرآن الكريم بالرأي الجائز المحمود أن يكون ملماً بجملة من العلوم و الثقافات و الآداب و الأدوات التي يستطيع بواسطتها أن يفسر القرآن الكريم تفسيراً صحيحاً، سليماً ومقبولا، و اعتبروا هذه العلوم والأدوات بمثابة السياج والحصن الحصين التي تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ والزلل و القول على الله بغير علم.

18 الصباغ، لطفي؛ **بحوث منهجية في أصول التفسير**، المكتب الإسلامي، ط1، بيروت ، لبنان، ص: 12-13

19 القرضاوي، يوسف؛ **كيف نتعا مل مع القرآن العظيم**، در الشروق، ط1، القاهرة، ص: 20

إن الغرض الأساس و الغاية الأسمى من تناولنا لهذه المسألة؛ هو تأصيل هذه المسألة تأصيلاً علمياً دقيقاً و بيان موقف العلماء و الأئمة، من المعاصرين و القدامى ومدى التزامهم بهذه الشروط و الأدوات في تفسيرهم لكتاب الله تعالى، لكي نرى بعد ذلك مدى توفر هذه الشروط و الآداب و المؤهلات في شخصية الأستاذ سيد قطب التفسيرية رحمه الله، الذي هو موضوع الدراسة في هذه الورقة العلمية المختصرة.

ومن الأئمة الأعلام الذين أصَّلوا و ناقشوا هذه المسألة العلمية؛ الإمام القرطبي[20] في مقدمة تفسيره ، و الإمام الطبري في مقدمة تفسيره[21] ، والإمام بن كثير في مقدمة تفسيره [22]، والإمام أبو حيان في مقدمة تفسيره [23]، والإمام الزركشي في موسوعته **(البرهان في علوم القرآن)**[24]، والإمام بن تيمية في مقدمته لأصول التفسير، والإمام السيوطي رحمه الله في موسوعته القرآنية **(الإتقان في علوم القرآن).** و قد اخترت من بين هؤلاء الأئمة الأعلام الإمام السيوطي رحمه الله، نظراً لبسطه هذه الأمور بمنهجية علمية دقيقة. ونظراً لطول الموضوع وكثرته و تشعبه، فإنني سأكون مضطراً إلى اقتباس أهم الآداب و الشروط التي ذكرها الإمام السيوطي وغيره من العلماء المحققين.

---

20 انظر: **الجامع لأحكام القرآن**، للإمام القرطبي، ج1، 20-30، (**المكتبة الالكترونية الشاملة**) 2006، المدينة المنورة

21 انظر: **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، للإمام الطبري، ج1، ص: 20-23، 28-29

22 انظر: **تفسير القرآن العظيم**، للإمام بن كثير، ج1، ص: 63

23 انظر: **تفسير البحر المحيط**، للإمام أبي حيان الأندلسي، ج1، ص: 6-9

24 انظر: **البرهان في علوم القرآن**، للإمام الزركشي، ج1، ص: 449-452

قال الإمام السيوطي: في معرفة شروط المفسر وآدابه [25].

" قال العلماء: من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن، فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه...ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ومن عاصرهم ويتجنب المحدثات...ومن شروطه صحة المقصد فيما يقول ليلقي التسديد...وإنما يخلص له القصد إذا زهد في الدنيا لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به غرض يصده عن صواب قصده ويفسد عليه صحة عمله.

وتمام هذه الشرائط أن يكون ممتلئاً من عدة الإعراب لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام...وقال ابن تيمية في كتاب ألفه في هذا النوع: يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه... ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً...والخلاف بين السلف في التفسير قليل، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد...وقال بعضهم: اختلف الناس في تفسير القرآن، هل يجوز لكل أحد الخوض فيه؟ فقال قوم: لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك.

---

25 **الإتقان في علوم القرآن**، ج1، ص:437 - 445 **(المكتبة الالكترونية الشاملة)**- من توزيع مكتبة الحرم النبوي الشريف في المدينة المنورة)، 2006 م.

ومنهم من قال: يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي خمسة عشر علماً. أحدها: اللغة؛ لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع...ولا يكفي في حقه معرفة اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر. الثاني؛ النحو، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره. الثالث؛ التصريف، لأن به تعرف الأبنية والصيغ...الرابع؛ الاشتقاق، لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما كالمسيح، هل هو من السياحة أو المسح. الخامس والسادس، والسابع؛ المعاني والبيان والبديع، لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام، وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة، وهي من أعظم أركان المفسر، لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم. وقال السكاكي: اعلم أن شأن الإعجاز عجيب، يدرك ولا يمكن وصفه...وقال ابن الحديد: اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح والرشيق والأرشق من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق، ولا يمكن إقامة الدلالة عليه...الثامن؛ علم القراءات، لأنه به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض. التاسع؛ أصول الدين، بما في القرآن من الآية الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى. فالأصولي يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز...العاشر؛ أصول الفقه، إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط. الحادي عشر؛ أسباب النزول والقصص،

إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه. الثاني عشر؛ الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره، الثالث عشر؛ الفقه. الرابع عشر؛ الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم. الخامس عشر؛ علم الموهبة، وهوعلم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بحديث: (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم). قال ابن أبي الدنيا: وعلوم القرآن وما يستنبطه منه بحر لا ساحل له. قال: فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه. قال: والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب، واستفادوا العلوم الأخرى من النبي صلى الله عليه وسلم. قلت: ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان وليس كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد. قال في البرهان: اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو وهو مصر على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض. قلت: وفي هذا المعنى قوله تعالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق)، قال سفيان بن عيينة: يقول أنزع عنهم فهم القرآن..." [26].

26 انظر: **الإتقان في علوم القرآن**، بتصرف شديد، ج1، ص: 445

و بعد أن ذكر الإمام السيوطي رحمه الله هذه الشروط، ذكر أيضاً بعض القواعد المهمة التي يحتاج إليها المفسر، فمن جملة القواعد التي ذكرها: " معرفة محكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وعامه وخاصّه، ومجمله و مبينه، و ناسخه و منسوخه، ومطلقه ومقيده، ومنطوقه ومفهومه، وحقيقته ومجازه، وتشبيهاته و استعاراته، وكنايته وتوضيحه، والإيجاز والإطناب، والحصر و الاختصاص، والخبر والإنشاء، وفواصل الآي، وفواتح السور، و خواتم السور، وأمثال القرآن، وأقسام القرآن، ومناسبات الآيات والسور و إعجاز القرآن وغير ذلك من القواعد و الشروط و الآداب، فمن أراد التوسع ليرجع إلى موسوعته: الإتقان في علوم القرآن [27]. هذا باختصار فيما ذكره علماء السلف الصالح في هذه المسألة.

و من العلماء المعاصرين الذين أبدعوا و تميزوا في هذه المسألة؛ أي مسألة ذكر آداب و ضوابط وشروط المفسر، نختار دراسة الشيخ العلامة عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني حفظه الله، في دراسته المستفيضة والدقيقة عن قواعد التدبر الأمثل للقرآن الكريم، حيث ذكر فضيلته أربعين قاعدة علمية يحتاج إليها المفسر لكتابه الله تعالى و المتدبر في آياته. ونظراً لكثرة هذه القواعد المدعمة بالأدلة في هذا السفر العظيم، فإننا نضطر إلى ذكر عناوين تلك القواعد فقط، دون ذكر الأمثلة التطبيقية التي ذكرها فضيلته.

27 المصدر السابق، ج1، ص: 214- 391، و انظر للتوسع والمزيد: مقدمة تفسير: **الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي**، ج1، 30-36؛ و **مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير**، ص:28-33

فمن هذه القواعد:1- ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة، 2-وارتباطها الموضوعي بما تفرق في القرآن ،3- وحدة موضوع السورة القرآنية، أوجه النص التي يهدف إليها،4- بيئة نزول النص البشرية و الزمانية و المكانية والنفسية و الفكرية الفردية و الاجتماعية، 5- التفسيرات الجزئية و المعني الكلي، 6- تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن و استبعاد التكرير لمجرد ما أمكن، 7- تتبع التفسير المأثور لمعنى النص،8 تكافؤ النصوص القرآنية ووجوب الجمع بينها في نسق فكري متكامل و عدم اللجوء إلى الحكم بالنسخ إلا فيما ثبت نسخه بدليل صحيح صريح،9- الحكمة من وضع آيات مدنية التنزيل في سورة مكية، 10-ووضع آيات مكية التنزيل في سورة مدنية، 11- النظر فيما ورد في أسباب النزول،12- لزوم فهم الآية وفق ترتيب نَظمِها، 13- القرآن لا اختلاف فيها و لا تناقض، 14- و أنه لا تناقض بينها و بين الحقائق العلمية الثابتة بالوسائل الإنسانية، 15- اقتضاء النص و لوازمه و روابطه الفكرية و محاذيفه التي حذفت للإيجاز والتضمينات التي يضمها، 16- التكرير و أغراضه، 17- ضرورة البحث في معاني الكلمات القرآنية بحثاً علمياً لغوياً، 18-الربط بين الآيات وخواتيمها، 19-النظر في الألفاظ المتقاربة المعنى أو المترادفة،20- تردد النص بين دلالتين فأكثر، القَسَم في القرآن، 21-النظر في ملائمة الأسلوب البياني للهدف منه، البحث عن الوجوه البلاغية والغرض الفكري من الصور البلاغية، 22-الاستغناء في الأداء البياني بتعبيرات مختلفات موزعات على الأشباه والنظائر للدلالة على التكامل البياني فيما بينها، 23- التنويع في أساليب الأداء البياني،24- البحث

عن أغراض الاختلاف في التعبير في مختلف النصوص،25- ضرورة ملاحظة قواعد اللغة العربية و مفاهيم الصيغ الصرفية و لزوم البحث عن سر مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر، 26- رعاية فواصل الآيات اهتماماً بالنسق اللفظي،27- استعمال الكلام أكثر من معنى، 28-التعليل بأنْ المصدرية و ما بعدها في الآيات القرآنية و لزوم تقدير المحذوفات قبلها،29- استعمال الفعل الماضي: فيما له الكينونة الدائمة وفيما حصل فعلاً، 30-وفيما هو مقضي مقدر، و فيما هو معلوم لله وقوعه في المستقبل، 31- النظر في توجيه الخطاب الرباني،32- كلمة (لعل) الواردة في القرآن،33- كلمة (بلى) في القرآن، 34- صيغة (وما أدراك) في القرآن، 35- تعدية فعل (أراد – يريد) في القرآن،36- تعبيرات (من بين يديه و من خلفه) و نحوهما، الأمام و الوراء، 37- إسناد الفعل إلى أو ما في معناه إلى فاعله و من قام به أو مسببه، أو الآمر به و الداعي له، أو المتهم به، أو الحاكم أو القاضي به،38- الاستثناء المنقطع، 39- لفظ (كذلك) في القرآن، 40-القراءات العشر. هذه هي عناوين تلك القواعد الأربعين التي ذكرها العلامة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة حفظه الله في كتابه المذكور. و لا شك أن هذه القواعد كما ذكر فضيلته استنبطها من التدبر الطويل في معاني الآيات القرآنية، و هي تصلح، بل و يجب أن تكون نبراساً يهتدي بها و يسير على هديها كل من نصب نفسه على منبر تفسير و بيان المراد من كتاب الله تعالى. فجزى الله عز

وجل علماءنا وأئمتنا السابقين و مشايخنا المعاصرين الذي لم يألو جهداً في توضيح وتسهيل السبل الموصلة إلى معرفة معاني كتاب الله عز وجل [28].

ومن القواعد التي يحتاج إليها المفسر أيضاً؛ معرفة الضمائر، التعريف و التنكير، الإفراد والجمع، السؤال و الجواب، الخطاب بالاسم و الخطاب بالفعل، العطف، الفرق بين الإيتاء والإعطاء، لفظ كان، وكاد، و جعل، و لعل و عسى[29].

و نضيف هنا أيضاً و نقول؛ إن المفسر يحتاج أيضاً إلى معرفة بعض القواعد الأصولية التي وضعها الأصوليون و إلى القواعد الفقهية التي وضعها الفقهاء، ومن القواعد الفقهية التي ذكرتها مجلة الأحكام العدلية: الأمور بمقاصدها، اليقين لا يزول بالشك، الضرر لا يكون قديماً، الأصل براءة الذمة، لاضرر ولا ضرار، المشقة تجلب التيسير، الضرورات تبيح المحظورات..الخ. وقد ألفت في هذه القواعد كتب، مثل كتاب:الفروق، للإمام القرافي، والأشباه النظائر، للإمام السيوطي، والقواعد النورانية، للإمام ابن تيمية، ومجلة الأحكام العدلية في الدولة العثمانية..الخ [30].

---

28 انظر: **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل – تأملات**؛ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، ط2، 1989، دمشق، سوريا، ص: 13-800 ؛ و انظر أيضاً: **مفاتيح تدبر القرآن و النجاح في الحياة**؛ د/ خالد بن عبد الكريم لاحم، ط1، 2004، الرياض

29 انظر: مناع القطان؛ **مباحث في علوم القرآن**، ص: 198-210؛ وانظر: محمد حسين الذهبي؛ **التفسير و المفسرون**، ج 1، ص: 229-234

30 الصباغ، لطفي: **مباحث في أصول التفسير و المنجية**، 210-214

و أما آداب المفسر الروحية و الخلقية و النفسية، و التي أشار إلى بعض منها الإمام السيوطي والزركشي رحمهما الله، فقد ذكر العلماء أيضاً: صحة الاعتقاد و التجرد عن الهوى، حسن النية و صحة المقصد، حسن الخلق، الامتثال و العمل، تحري الصدق و الضبط في النقل، التواضع ولين الجانب، عزة النفس، الجهر بالحق، الهيبة والوقار، الأناة والرويّة [31].

ونضيف في هذه المناسبة و نقول: إن المفسر في العصر الحديث بناء على قاعدة فقه الواقع وفقه النوازل، ونظراً للمستجدات العصرية الراهنة، يحتاج بالإضافة إلى ما تقدم ذكره آنفاً، أن يكون ملماً أيضاً ببعض العلوم الإنسانية الأخرى؛ مثل علم النفس و

31 انظر: **مباحث في علوم القرآن**، 340-343، و قد ذكر العلماء بعض الخطوات العملية للتدبر والتأثر بالقرآن الكريم، فقالوا يجب:

" استحضار الجو الإيماني، الوقوف على كل آية والانفعال معها، تسجيل الخواطر لحظة ورودها، الاطلاع على تفسير مختصر لبيان كلمة غريبة ، محاولة تطبيق كل آية في كتاب الله ، واستخراج العبر والعظات من قصص السابقين، الحرص على حفظ الآيات في الصدر، الاطلاع على تفسير مطول، أن يخلص لله في قراءته ويستحضر عظمة الله تعالى، وأن يتنبه إلى أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن لا يطلب بالقرآن شرف المنزلة عند أبناء الدنيا، التوبة والابتعاد عن المعاصي؛ فهي تذهب بنور الإيمان في القلب والوجه وتوهن القلب وتمرضه، ومن أخطر المعاصي وأعظمها صدا عن التأثر بالقرآن وتدبره ، سماع الغناء والموسيقى وآلات الطرب واللهو التي تصد القلوب عن القرآن، أن يحضر القلب ويطرد حديث النفس أثناء التلاوة ويصون يديه عن العبث وعينيه عن تفريق نظرهما من غير حاجة، أن يستشعر القارئ بأن كل خطاب في القرآن موجه إليه شخصيا، التأثر، فعند الوعيد يتضاءل خيفة، وعند الوعد يستبشر فرحا، وعند ذكر الله وصفاته وأسماءه يتطأطأ خضوعا، وعند ذكر الكفار وقلة أدبهم يخفض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم، ويشتاق للجنة عند وصفها، ويرتعد من النار عند ذكرها، يتحاشى النظر إلى نفسه بعين الرضا والتزكية، تحاشي موانع الفهم؛ مثل أن يصرف همه كله إلى تجويد الحروف وغير ذلك، اختيار الوقت المناسب والذي يتجلى الله فيه على عباده وتتنزل فيه فيوضات رحمته، وأفضل القراءة ما كان في الصلاة، وأما القراءة في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل والنصف الأخير من الليل أفضل من الأول، وأما قراءة النهار فأفضلها بعد صلاة الفجر، ترديد الآية للتدبر والتأثر بها، البكاء أثناء التلاوة وبخاصة عند قراءة آيات العذاب أو المرور بمشاهده وذلك عندما يستحضر مشاهد القيامة وأحداث الآخرة ومظاهر الهول يوم القيامة . أنظر للتفاصيل:http://gesah.net/quran

علم الاقتصاد و علم الهندسة الوراثية و علم الاستنساخ و علم الاجتماع (علم أحوال البشر)، و علم الطب وعلم الفلك و علم جيولوجيا (طبقات الأرض)، و علم بيولوجيا (علم الأحياء و الكائنات الحية)، وعلم الفيزياء النووية، و علم والكيمياء – بقسميه: العضوية و غير العضوية)، و علم الفلك و علم البحار، والاكتشافات العلمية والطبية و الفلكية الحديثة. كما ينبغي عليه أن يكون أيضاً مدركاً و فاهماً للسياسة العالمية الراهنة(و لا سيما سياسة أمريكا و أوربا)، و موقفها من مقدسات الإسلام و المسلمين. فإذا ما اكتملت و توفرت تلك الشروط المذكورة سابقاً و هذه التي ذكرتها لاحقاً في شخص المفسر المنشود في هذا العصر، فلا حرج بإذن الله أن يشرع هذا المفسر في تفسير و بيان كلام الله تعالى بالرأي الجائز المحمود.

و نختم كلامنا في هذا الموضوع بذكر بعض المبادئ و الضوابط التي ذكرها فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله، حيث قال إننا بحاجة إلى تفسير: "...يتجنب الجدل الفلسفي والمماحكات الكلامية، والابتعاد عن الأمور الافتراضية التي أولع بها بعض الفقهاء، مراعاة موضوع الهداية والعقيدة، والابتعاد عن المصطلحات النحوية والبلاغية إلا للضرورة. لا مانع من الاستفادة من العلوم الحديثة وما توصلت إليه الحقائق القطعية. ربط الآيات بعضها ببعض في السورة الواحدة لأن لكل سورة موضوعاً رئيسياً، والأسوة في ذلك (الأستاذ سيد قطب)، كما أننا بحاجة إلى الجمع بين الرواية والدراية، و صحيح المنقول وصريح المعقول، تراث السلف ومعارف الخلف، تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير

القرآن بصحيح السنة، الانتفاع بتفسير الصحابة والتابعين، الأخذ بمطلق اللغة، مراعاة السياق، ملاحظة أسباب النزول، اعتبار القرآن أصلاً متبوعاً. وينبغي مراعاة الكلمة في عصر نزول القرآن، والعبرة بما تدل عليه الألفاظ في ذلك العصر، فكثيراً ما تتطور الدلالات ولألفاظ بتطور العصور وتطور المعارف واتصال الشعوب والحضارات. رعاية المخصصات والمقيدات، تتبع مورد الكلمة في القرآن. كما تجدر الإشارة إلى المفسر أن القرآن الكريم يجب أن يكون متبوعاً لا تابعاً. فعلى المفسر أن يتجرد من اعتقاداته السابقة فلا يحمل الآيات على ما وردت من القصص في التوراة والإنجيل. والسنة النبوية الصحيحة يجب أن تكون فوق كل شيء. فلا يكون الحديث الصحيح حنفياً ولا شافعياً ولا مالكياً وحنبلياً، فهو فوق المذاهب كلها. ولا يجوز أن يكون القرآن معتزلياً ولا أشعرياً ولا أرسطياً ولا أفلاطونياً ولا فارابياً ولا إسماعيلياً ولا قاديانياً، ولا أن يكون جنيدياً ولا قشيرياً ولا تقشبنديًا. بل يجب أن يكون فوق الجميع ومرجع الجميع وحاكم الجميع. و سوء التأويل للآيات يأتي إما بسبب قصور في العلم والفكر وإما فساد في النية والقصد..[32]. ومن المزالق التي يجب أن يحذر منها المفسر في الفهم والتفسير: اتباع المتشابهات وترك المحكمات، سؤ التأويل، وضع النص في غير موضعه، دعوة النسخ بلا برهان، الجهل

32 انظر: القرضاوي، يوسف: **كيف نتعامل مع القرآن العظيم- فهماً و تفسيراً**، بتصرف شديد، ص: 200، 237-258-268

بالسنن والآثار، الثقة بالإسرائيليات، الشرود عن إجماع الأمة، ضعف التكوين العلمي واتباع المتشابهات [33].

جعلنا الله ممن يرعاه حق رعايته، ويتدبر القرآن حق تدبره، ويقوم بقسطه، ويفى بشرطه، ولا يلتمس الهدى في غيره، وهدانا لأعلامه الظاهره، وأحكامه القاطعة الباهرة، وجمع لنا به خير الدنيا والآخرة، فانه أهل التقوى وأهل المغفرة.

33 المرجع السابق، ص: 260 بتصرف شديد

الفصل الثاني: الأسس العلمية والركائز الثقافية لدى المفسر الأستاذ سيد قطب

المبحث الأول: الأسس والركائز الفكرية والثقافية العامة – تأصيل قواعد تفسيرية (الجانب النظري)

لقد مر الأستاذ الشهيد رحمه الله بمراحل فكرية عديدة، وحدث في حياته ودعوته وكتاباته نقلة نوعية كبيرة وعجيبة. و بمعرفتنا لهذه المراحل يتضح لنا، أن عودة الأستاذ سيد قطب إلى الإسلام من جديد كان ذلك اصطفاء وهداية من الله تبارك وتعالى له. وهذه النقلة الكبيرة ينبغي أن لا تكون ذريعة للحط والنيل من قدره بسبب المراحل الفكرية التي مر بها الأستاذ الشهيد، إنما العبرة بالخواتيم.

المطلب الأول: سمات وملامح هذا المفسر في تفسيره

ومن الركائز الروحية و النفسية والثقافية التي كان يتمتع بها الأستاذ سيد قطب، أنك تجد في تفسيره:

- الواقعية والجدية في البحث.
- المنهجية السلفية.
- بيان دور الإنسان ومركزه.

- ❖ الإلمام بالملابسات التاريخية لنزول القرآن.
- ❖ بيان تعامل الصحابة مع القرآن.
- ❖ تصويبات في الفكر الإسلامي المعاصر وتحليل حاضر العالم الإسلامي.
- ❖ التأكيد على قضايا الدعوة والحركة في مواجهة المادية الجاهلية.
- ❖ التأكيد على إبراز التصوير الفني من الآيات القرآنية، الذي هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن. فالقرآن يعبر عنه بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني و الحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني و الطبيعة البشرية...فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا الحال النفسية لوحة أو مشهد، إذا النموذج الإنساني شاخص حي، و إذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية.. وكذلك الحوادث و القصص والمشاهد و المناظر يصورها شاخصة حاضرة .. [34].
- ❖ الإكثار في آيات العقيدة من الإشراقات واللمحات والنتائج والأحكام والتحليلات..[35].
- ❖ التأكيد على حقائق العقيدة الإسلامية و جعلها الركيزة و الأساس لكل شيء.
- ❖ التكرار والتأكيد على قضية الحاكمية والألوهية لله تعالى حتى تستقر في قلوب الناس، وأنها إن صلحت صلح معها كل شيء، و إذا فسدت فسد معها كل شئ [36] .

34 انظر: **التصوير الفني في القرآن**، 30-50، و راجع أيضاً: **في ظلال القرآن في الميزان**، ص : 305-400

35 انظر: **مدخل إلى التفسير و علوم القرآن**، ص :267

36 انظر: قطب، سيد، **مقومات التصور الإسلامي**، فصل: (ألوهية و عبودية) ،ص:41 ، وفصل : (حقيقة الألوهية)، ص:81 .

المطلب الثاني: الطريقة التي سار عليها في تفسيره للقرآن الكريم

من خلال مطالعة الباحث ودراسته لشخصية هذا المفسر الجليل في تفسيره، ومطالعة بعض الذين كتبوا وأرخوا عن منهجه؛ أقول يمكن استخلاص هذه المنهجية وهذه المبادئ، التي سلكها سيد قطب في تفسيره لكلام الله تعالى. فهو رحمه الله تعالى يورد الآية أو الآيات ثم يقوم ببيان أغراضها و أهدافها والوحدة الموضوعية للسورة وشخصيتها، ثم يشرحها شرحاً وافياً و كافياً، مستنبطاً منها الدروس و العبر[37]. يذكر سبب نزول الآية إن وجد. يستشهد بالأحاديث النبوية ويحرص على الروايات الصحيحة. يورد اختلاف العلماء حول مفهوم الآية ولكن دون إسهاب وإطناب، ويضرب صفحاً عن المباحث اللغوية مكتفياً بالإشارة العابرة، ويتجه إلى إيقاظ الوعي وتصحيح المفاهيم و ربط الإسلام بالحياة [38]. يورد أقوال الفلاسفة ويناقش آراءهم بالحجج العقلية ويدحض شبهاتهم ويبين بطلان منهجهم في مسائل العقيدة والتوحيد. يتعرض إلى ذكر و تحليل النظم الاجتماعية والوضعية مثل؛ الشيوعية والديمقراطية والرأسمالية و الماركسية و العلمانية والإلحادية، وذلك لبيان بطلان تلك المناهج الوضعية. يتطرق إلى تحليل سياسي و اجتماعي لمواقف الرسول صلى الله عليه و سلم مع المشركين و اليهود وأسباب الهجرة. لا يبالي باستعمال الألفاظ الشنيعة

37 الأستاذ الدكتور عدنان محمد زرزور حفظه الله، نسب إليه فضل إبراز الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية المفردة طالت أم قصرت، إذ أنه أول واحد من تطرق إلى هذا المبدأ ..أنظر: **مدخل إلى التفسير وعلومه**، ص : 267

38 القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن** ص : 334

للكفار والمنافقين، مثل (الجاهلية) و (المطموسين) [39]، و(المنتكسين)..الخ ليس من منهجه ذكر الإسرائيليات في تفسيره لعدم ورود روايات صحيحة في ذلك، ولكن مع هذا التحرز الشديد وجد أحياناً أنه يذكر ذلك..[40]. اهتم بالجانب البلاغي و التناسق البياني وإبراز الجمال الفني للآيات[41]. ينقل من المفسرين القدامى و يكثر من ابن كثير والطبري، و لكنه لم يتأثر بهم على الإطلاق في أي لون من ألوان التفسير أو التأويل [42]. أحياناً يجتهد و يأخذ بظواهر النص و لا يحمّل النص ما لا يحتمل، ، كما يظهر ذلك جلياً في تفسيره لآية الصوم [43]. رأيته معتدلاً في تفسيره، لا ينحو منحى المتشددين و المتعصبين، كما أنه لا يسلك مسلك المتساهلين المستخفين بأحكام الله وشريعته. يرجح بين الأقوال والآراء الفقهية، ويختار الرأي الذي يعززه الدليل الصحيح، كما في مسألة الموالاة والتتابع في الصوم [44]. يتطرق إلى العلوم الحديثة مثل الطب والفلك والفيزياء والكيمياء، ولكنه كان متحفظاً جداً من التفسير العلمي للقرآن الكريم، ونسبة ذلك إلى الإعجاز العلمي، لأن كثيراً من المسائل العلمية مبنية على الظنون و الفرضيات والنظريات، وهو كل يوم في شأن وتغير، و أنها غير مستقرة و معرضة للتبديل، بينما الآيات القرآنية مبنية على الحقائق، التي لا

39 انظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج 1، ص : 45 .

40 انظر: المصدر السابق

41 انظر: د / مسلم آل جعفر، و محي هلال السرحان ،**مناهج المفسرين** ، دار المعرفة ، ط 1 1980، ص : 268، و راجع **في ظلال القرآن** ، ج 6، ص: 3404 -3405 .

42 **مدخل إلى التفسير و علومه**، ص : 269 .

43 انظر: **في ظلال القرآن** ، ج 6 3598 - 3599 .

44 انظر: **المصدر السابق**، ج 6 - 3560 .

تتبدل ولا تتغير، وليس الأمر كما زعم البعض من أن الأستاذ سيد قطب لا يقبل أو يرفض التفسير العلمي للآيات جملة و تفصيلاً [45]. وفي مسائل العقيدة؛ الأسماء و الصفات، يثبت الصفات الواردة لله تعالى في القرآن مثل الحياة والقوامة أو القيومية وغيرها من الصفات، و أنه ينهج منهج السلف الصالح في تفسيرها، وقد صرح هو رحمه الله غير مرة بذلك في تفسيره [46]. كما كان من منهجه؛ التمييز بين القرآن المكي و المدني، وأن لكل منهما موضوعاتها الخاصة بها..[47] .

المطلب الثالث: تأصيل قواعد علمية و ثوابت منهجية في التفسير

إن الأستاذ سيد قطب رحمه الله، بناء على المؤهلات العلمية التي كان يحملها و يتمتع بها، قد قعّد قواعد و أصّل أسس و ثوابت تفسيرية، ووظفها حق التوظيف في بيان ثراء النص القرآني و إبراز معانيه ودلالاته اللغوية. فمن جملة هذه الأسس و القواعد التي استخدمها وسار عليها في تفسيره نذكر ما يلي:

---

45 انظر: **المصدر السابق**، ج 3، ص: 1216 - 1217، وانظر المصدر السابق : ج6، ص: 3713-3714

46 انظر: **في ظلال القرآن في الميزان**، ص :316 .

47 و لمعرفة المزيد و التفاصيل يراجع هذه المراجع: **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، لفهد بن عبد الرحمن بن السليمان الرومي، ج 3 999 ؛ **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، صلاح عبد الفتاح الخالدي؛ **في ظلال القرآن في الميزان**، فصل :**سمات الظلال**، ص:305 400؛ **سيد قطب خلاصة حياته** ..محمد توفيق بركات، ص :19؛ **مباحث في علوم القرآن**، مناع القطان، ص :334؛ **مدخل إلى التفسير و علومه**، محمد عدنان زرزور، ص :260 – 270؛ **مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة**، د.خالد بن عبد الكريم اللاحم، ط1، 2004، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص: 14-70؛ **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل**، الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط2، 1989، دارالقلم – دمشق، ص: 13-234

- ❖ الأسلوب الأدبي.
- ❖ تذوق النص القرآني.
- ❖ الواقعية و الحركية.
- ❖ التفسير الجمالي الفني.
- ❖ الوحدة الموضوعية.
- ❖ استيحاء النص دن مقررات سابقة.
- ❖ ترك الإطناب عما أبهم في القرآن.
- ❖ التحذير من الإسرائيليات.
- ❖ ترك الاختلافات الفقهية.
- ❖ واجتناب الإغراق في المسائل اللغوية و تفاعله مع النص القرآني ...[48].
- ❖ القدرة على تناول الآيات من الجوانب المختلفة، بحيث لم يكن أسيراً لغيره من المفسرين القدامى أو المحدثين.
- ❖ الثقة بالنفس و عدم الاضطراب فيما يذهب إليه من الآراء و يتبنى من الأفكار.
- ❖ تأثره الكبير بالمنهج القرآني وتركيزه على الأولويات و الأسس التي قام عليها المنهج القرآني في الدعوة إلى الله تعالى.

48 يراجع بتوسع :فهد، الرومي، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، ج 3، ص: 999-1000 فما بعد..

- ربـط الآيـات بالسـيرة النبويـة وأحـداثها التاريخيـة، سـواء مـا تعلـق منهـا بـالعهود والمواثيق التي كانت بين المسلمين واليهود أو النصارى..أو ما تعلق منها بدعوة الملوك والأمراء إلى الإسلام عن طريق الرسائل والسفراء.
- تزوده برصيد ضخم من المشاعر والمدركات والتجارب، واستصحابه لها وهو ينظر في نصوص القرآن و يتلقى إيحاءاته...
- ذهابه بخياله ومشاعره وأحاسيسه إلى الجو الذي تنزل فيه القرآن في مكة والمدينة، لإدراك أثر القرآن وتأثيره هناك..[49].
- ملاحظته حركة الصحابة في جو مكة و المدينة بالقرآن، وتفاعلهم معه ..." [50].
- وقوفه على الأغراض الأساسية للقرآن، و منهجه الواقعي الحركي الذي به حياة الأمة المسلمة وتنزيله نصوص القرآن على واقع جدي حي.. [51].
- قيامه بدور عملي جهادي وتجربة حية دعوية، مشابهة في بعض مظاهرها تجربة الصحابة الكرام – و بخاصة في جو مكة و الحركة العملية بالقرآن... ليجد عنده الجواب الواضح والبلسم الشافي .. [52].

49 الخالدي, صلاح عبد الفتاح، **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، ص :59 .
50 المرجع السابق، ص :59 .
51 **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، ص :59 .
52 المرجع السابق، ص :59

- إدراكه وفهمه لشمولية الرسالة الإسلامية في كافة الجوانب البشرية و حاجة البشرية والقلوب إلى الله تبارك و تعالى، و النظرة التكاملية في آيات القرآن الكريم.
- فهمه الدقيق لعظمة وطبيعة المنهج الرباني.
- يقينه الجازم والحاسم، من أن البشرية كافة متجهة إلى الهاوية والجحيم، إذا هي لم تلتزم بشريعة الله عز وجل، وأنه لن يصلح آخر أمرها إلا بما صلح به أولها.
- الشجاعة النادرة والإيمان الكبير الذي كان يحيا و يتحلى بهما صاحبه، مما جعله لا يقيم وزناً لهذه الحياة الدنيا، وأنها بدت أمام عينيه صغيرة و حقيرة، فلأجل ذلك لم يكن يخش من أحد سوى الله عز و جل..و هذا واضح في كتاباته و منهجه.
- تحليله لواقع سياسي محلي وعالمي، و ربطه بالقرآن الكريم وعرضه على ميزانه.
- معايشته للظروف السياسية الراهنة والمتكالبة على العالم الإسلامي، والحالة الدينية والاجتماعية والاقتصادية المتدهورة للأمة الإسلامية.
- محاربته للقوانين الوضعية البشرية، مثل الشيوعية والديمقراطية والماركسية والاشتراكية والرأسمالية والعلمانية و الإلحادية.
- التأكيد على تأثيرات الكنيسة السلبية و جهود المنصرين على الأمة الإسلامية.
- بيان لخطط وأساليب الصهاينة من اليهود والنصارى الصليبيين.

المبحث الثاني: من نتائج و ثمار تلك الأسس الفكرية، ونماذج من تفسير الأستاذ سيد قطب تتجلى فيها آثار المؤهلات العلمية على تفسيره (الجانب التطبيقي)

المطلب الأول: نتائج وثمار تلك الأسس الفكرية والقواعد المنهجية

أقول: تظهر هذه الأسس و الركائز في فكره وثقافته بشكل واضح، في معالجة الأستاذ سيد قطب طبيعة وسر القرآن المكي، والحِكم التي تكمن وراء هذه الفترة الطويلة من النزول، و التأمل فيما سماه الأستاذ: بـ: ظاهرة القرآن المكي، و تقرير العقيدة و عدم تجاوزها إلى الأمور الثانوية و الفرعية. قال رحمه الله: " .. و أصحاب الدعوة إلى دين الله، وإلى إقامة النظام الذي يتمثل فيه هذا الدين في واقع الحياة، خليقون أن يقفوا طويلاً أمام هذه الظاهرة الكبيرة، ظاهرة تصدي القرآن المكي خلال ثلاثة عشر عاماً لتقرير هذه العقيدة ثم وقوفه عندها لا يتجاوزها إلى شئ من تفصيلات النظام الذي يقوم عليها، والتشريعات التي تحكم المجتمع المسلم الذي يعتنقها ..." [53].

و من ثمار تلك الأسس وقوفه طويلاً في مسألة العمل مع الإيمان، التي هي الأساس في حياة الإنسان، و أن الأمر لم يعد مجرد مشاعر أو كلام. يقول رحمه الله: ".. وحيثما ذكر الإيمان في القرآن أو ذكر المؤمنون، ذكر العمل الذي هو الترجمة الواقعية للإيمان، فليس

53 قطب سيد، **معالم في الطريق**: ص : 21-22 .

الأمر مجرد مشاعر، وإنما هو مشاعر تفرغ في حركة لإنشاء واقع وفق التصميم الإسلامي للحياة، أو وفق التصور الإسلامي للحياة.." [54].

و من ثمار تلك القواعد أنه بين أهمية ترسيخ العقيدة والإيمان بالله في قلوب الناس قبل أي شيء آخر، فيقول رحمه الله: "..إن القيمة الكبرى في ميزان الله هي قيمة العقيدة، وأن السلعة الرائجة في سوق الله هي سلعة الإيمان، وأن النصر في أرفع صوره هو انتصار الروح على المادة، وانتصار العقيدة على الألم وانتصار الإيمان على الفتنة.." [55]، " و " ..إن القرآن لم يقض ثلاثة عشر عاماً كاملة في بناء العقيدة بسبب أنه كان ينزل للمرة الأولى ...كلا ! فلو أراد الله لأنزل هذا القرآن جملة واحدة، ثم ترك أصحابه يدرسونه ثلاثة عشر عاماً أو أكثر أو أقل حتى يستوعبوا " النظرية الإسلامية"، "..ولكن الله سبحانه كان يريد أمراً آخر، كان يريد منهجاً معيناً متفرداً، كان يريد بناء الجماعة و بناء الحركة... كان يريد أن تكون العقيدة هي واقع الجماعة الفعلي؛ هو صورة العقيدة، وكان الله سبحانه يعلم أن بناء النفوس والجماعات لا يتم بين يوم وليلة، فلم يكن بد أن يستغرق بناء العقيدة المدى الذي يستغرقه بناء النفوس و الجماعة ..." [56] .

ومن الأمور الأساسية التي كان يطيل التأمل و التدبر في تفسيره لآيات الله تعالى ولا يتجاوز إلى قضايا أخرى فرعية، أنه رحمه الله كان لا يرى فصل الدين عن الدنيا، لأن

54 قطب، سيد، **خصائص التصور الإسلامي**، ص : 182-183 .

55 قطب، سيد، **معالم في الطريق**، ص :170-171 .

56قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج 7، ص :89-90 ، **و معالم في الطريق** :ص :38-39

طبيعة المنهج الإلهي لا يقتضي حصر الدين في الشعائر التعبدية فقط فيقول رحمه الله: " ... ليس من طبيعة هذا الدين أن ينفصل عن الدنيا، وليس من طبيعة المنهج الإلهي أن ينحصر في المشاعر الوجدانية والأخلاقيات التهذيبية والشعائر التعبدية أو في ركن ضيق من أركان الحياة البشرية... ركن ما يسمونه :الأحوال الشخصية ...".

ومن القضايا الأساسية و الأولويات أنه رحمه الله كان يرى الأولوية لدين الله في كل شئ، وأن دين الله لا يمكن أن يكون محكوماً أو مقوداً، وإنما يجب عليه أن يكون دائماً حاكماً أو قائداً أو مهيمناً فيقول رحمه الله: " كلا إن "دين الله" لا يرضى إلا أن يكون سيداً مهيمناً، قوياً متصرفاً، عزيزاً كريماً، حاكماً لا محكوماً، قائداً لا مقوداً .." [57].

ذكرنا أنه رحمه الله قام بدور عملي جهادي وتجربة حية دعوية، مشابهة في بعض مظاهرها تجربة الصحابة الكرام – و بخاصة في جو مكة و الحركة العملية بالقرآن... ليجد عنده الجواب الواضح والبلسم الشافي. ومن ثمرة هذا الأساس اليقين و الثبات و الصمود..قال رحمه الله: "... ولا يجوز أن يتطرق إلى قلوبنا الشك بسبب ما نراه من حولنا من الضربات الوحشية التي تكال لطلائع البعث الإسلامي في كل مكان، ولا بسبب ما نراه من ضخامة الأسس التي تقوم عليها الحضارة المادية...إن الذي يفصل في الأمر ليس هو ضخامة الباطل، وليس هو قوة الضربات التي تكال للإسلام ... إنما الذي يفصل في الأمر

57 قطب، سيد، **المستقبل لهذا الدين**، الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، 1988- مطبعة الفيصل، ص: 93، و يراجع بتوسع فصل :الألوهية والعبودية في: **مقومات التصور الإسلامي**، ص :84-107-109-132-134 .

هو قوة الحق ومدى الصمود للضربات .."[58]. لقد استمد الأستاذ سيد قطب هذا اليقين من طول صحبته للقرآن: "..وهذا يقين نستمده من طول الصحبة لهذا القرآن وطول الصحبة كذلك للمحاولات البشرية في البيان. وطول المزاولة الشخصية للكتابة فترة من العمر طويلة .." [59].

أما السر الأعظم الذي توصل إليه الأستاذ سيد قطب لتفسير القرآن الكريم تفسيراً دعوياً حركياً..أنه رحمه الله تنبه إلى منهج الصحابة في قراءتهم وتدبرهم لكتاب الله، وكيفية تفاعلهم معه، وتفسيرهم للقرآن الكريم؛ هو أنهم كانوا يقرؤون القرآن بقصد التلقي والتنفيذ، وليس بقصد المتاع والقراءة المجردة، فيقول رحمه الله : " إن منهج التلقي للتنفيذ والعمل هو الذي صنع الجيل الأول. ومنهج التلقي للدراسة والمتاع هو الذي خرّج الأجيال التي تليه .." [60] .

ومن نتائج تلك الأسس و الثوابت إدراكه وفهمه لشمولية الرسالة الإسلامية في كافة الجوانب البشرية و النظرة التكاملية في آيات القرآن الكريم. قال رحمه الله: ".. منهج حياة بشرية واقعية بكل مقوماتها... منهج يشمل التصور الإعتقادي الذي يفسر طبيعة الوجود، و يحدد مكان الإنسان في هذا الوجود، كما يحدد غاية وجوده الإنساني...ويشمل

58 قطب، سيد، **المستقبل لهذا الدين**، ص :116-117، وانظر :**خصائص التصور الإسلامي**، فصل : الثبات ،ص :87

59 قطب، سيد، **مقومات التصور الإسلامي** (القسم الثاني)، ص :24-25، بيروت، دار الشروق، ط 4 1993، وانظر: **خصائص التصور الإسلامي** للمؤلف، بيروت، دار الشروق، ط-8 1983، ص:10

60 قطب، سيد، **معالم في الطريق**:ص-19

النظم والتنظيمات...كالنظام الأخلاقي والأسس التي يقوم عليها، والسلطة التي يستمد منها، والنظام السياسي وشكله وخصائصه، والنظام الاجتماعي وأسسه و مقوماته، والنظام الاقتصادي وفلسفته وتشكيلاته، والنظام الدولي وعلاقته وارتباطاته..." [61].

ومن نتائج تلك الثوابت إدراك حاجة البشرية إلى العقيدة و إلى الإيمان بالله تعالى، حيث عبر".. إنها جوعة من نوع آخر، جوعة إلى الإيمان بقوة أكبر من البشر، وعالم أكبر من المحسوس ومجال من الحياة الدنيا، وجوعة إلى الوئام بين ضمير الإنسان و واقعه، بين البشرية التي تحكم ضميره والشريعة التي تحكم حياته، بين منهج حركته الذاتية و منهج الحركة الكونية من حوله. جوعة إلى " اله " واحد يتلقى منه شريعة قلبه وشريعة مجتمعه على السواء ... " [62]. والسبب لهذه الحاجة هو أن: "...قاعدة المنهج الرباني الصادر عن علم (بدل الجهل)، و كمال (بدل النقص)، وقدرة (بدل الضعف)، و حكمة (بدل الهوى) ، القائم على أساس: إخراج البشر من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده دون سواه.." [63].

61 قطب، سيد، **المستقبل لهذا الدين**، ص-3 .

62 المصدر السابق :68-69 ، وانظر فصل : (ألوهية و عبودية)، في **مقومات التصور الإسلامي**، ص :101، وانظر: قطب، سيد، **نحو مجتمع إسلامي**، ص29 .

63 المصدر السابق:ص- 8، ويراجع فصل :الربانية، في كتاب :**خصائص التصور الإسلامي و مقوماته** للمؤلف ،ص 43 ، وانظر المقدمة في :**نحو مجتمع إسلامي** ،ص :5-13، و يراجع بتوسع فصل : تيه وركام، في :**خصائص التصور الإسلامي**، ص :22 .

المطلب الثاني: نماذج من تفسير الأستاذ سيد قطب

1- اهتمام سيد قطب بالعلوم المختلفة المساعدة لفهم القرآن

يقول رحمه الله في تفسيره لقول تعالى: **(وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ...)** [البقرة 102]

" وبعد فلا بد من كلمة هنا عن السحر، وعما يفرق بين المرء وزوجه، مما كان أولئك اليهود يجرون خلفه ، ويتركون كتاب الله وراء ظهورهم من أجله. إنه ما يزال مشاهداً في كل وقت أن بعض الناس يملكون خصائص لم يكشف العلم عن كنهها بعد. لقد سمي بعضها بأسماء ولكنه لم يحدد كنهها ولا طرائقها!..هذا « التيليباثي » - التخاطر عن بعد - ما هو؟ وكيف يتم؟ كيف يملك إنسان أن يدعو إنساناً على أبعاد وفواصل لا يصل إليها صوت الإنسان في العادة ولا بصره ، فيتلقى عنه ، دون أن تقف بينهما الفواصل والأبعاد؟ وهذا التنويم المغنطيسي ما هو وكيف يتم؟ كيف يقع أن تسيطر إرادة على إرادة ، وأن يتصل فكر بفكر ، فإذا أحدهما يوحي إلى الآخر ، وإذا أحدهما يتلقى عن الآخر ، كأنما يقرأ من كتاب مفتوح؟ إن كل ما استطاع العلم أن يقوله إلى اليوم في هذه القوى التي اعترف بها، هو أن أعطاها أسماء! ولكنه لم يقل قط : ما هي؟ ولم يقل قط كيف تتم؟... وليس معنى هذا هو التسليم بكل خرافة ، والجري وراء كل أسطورة . . إنما

الأسلم والأحوط أن يقف العقل الإنساني أمام هذه المجاهيل موقفاً مرناً . . لا ينفي على الإطلاق ولا يثبت على الإطلاق... السحر من قبيل هذه الأمور . وتعليم الشياطين للناس من قبيل هذه الأمور . وقد تكون صورة من صوره : القدرة على الإيحاء والتأثير ، إما في الحواس والأفكار ، وإما في الأشياء والأجسام .." [64] .

2- **التفسير الحركي عند الأستاذ سيد قطب**

قال في تفسير قوله تعالى:(**وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا... وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)** الأنفال: 72 -73

فيقول رحمه الله: " وهذا الحكم منطقي ومفهوم مع طبيعة هذا الدين التي أسلفنا- ومع منهجه الحركي والواقعي. فهؤلاء الأفراد ليسوا أعضاء في المجتمع المسلم، ومن ثم لا تكون بينهم وبينه ولايه.. ولكن هناك رابطة العقيدة، وهذه لا ترتب- وحدها- على المجتمع المسلم تبعات تجاه هؤلاء الأفراد.. هذه الجاهلية التي واجهها كل رسول بالدعوة إلى الإسلام لله وحده. والتي واجهها رسول الله - صلى الله عليه وسلم – بدعوته..هذه الجاهلية لم تكن متمثلة في « نظرية » مجردة. بل ربما أحياناً لم تكن لها « نظرية » على الإطلاق! إنما

64 **في ظلال القرآن**: ج1، ص 90-97

كانت متمثلة دائماً في تجمع حركي. متمثلة في مجتمع، خاضع لقيادة هذا المجتمع، وخاضع لتصوراته وقيمه ومفاهيمه ومشاعره وتقاليده وعاداته، وهو مجتمع عضوي بين أفراده ذلك التفاعل والتكامل والتناسق والولاء والتعاون العضوي..ومن أجل أن الجاهلية لا تتمثل في « نظرية » مجردة، ولكن تتمثل في تجمع حركي على هذا النحو؛ فإن محاولة إلغاء هذه الجاهلية، ورد الناس إلى الله مرة أخرى ، لا يجوز - ولا يجدي شيئاً - أن تتمثل في « نظرية » مجردة. فإنها حينئذ لا تكون مكافئة للجاهلية القائمة فعلاً والمتمثلة في تجمع حركي عضوي، فضلاً على أن تكون متفوقة عليها كما هو المطلوب في حالة محاولة إلغاء وجود قائم بالفعل، لإقامة وجود آخر يخالفه مخالفة أساسية في طبيعته وفي منهجه وفي كلياته وجزئياته. بل لا بد لهذه المحاولة الجديدة أن تتمثل في تجمع عضوي حركي أقوى في قواعده النظرية والتنظيمية، وفي روابطه وعلاقاته ووشائجه من ذلك التجمع الجاهلي القائم فعلاً.." [65].

3- اهتمام الأستاذ سيد قطب بالطب

في صدد تفسيره لقوله تعالى في سورة الأحقاف: **(حملته أمه كُرهاً ووضعته كُرهاً وحمَلُهُ وفصالُهُ ثلاثون شهراً):** ".. ويقدم علم الأجنة فإذا به يكشف لنا في عملية الحمل

65 **في ظلال القرآن**: ج3، ص: 447

عن جسامة التضحية ونبلها في صورة حسية مؤثرة. إن البويضة بمجرد تلقيحها بالخلية المنوية تسعى للإلتصاق بجدار الرحم وهي مزودة بخاصية أكالة، تمزق جار الرحم الذي تلتصق به وتأكله فيتوارد دم الأم إلى موضعها، حيث تسبح هذه البويضة الملقحة دائماً في بُرْكَةٍ من دم الأم الغني بكل ما في جسمها من خلاصات، وتمتصه لتحيى به وتنمو، وهي دائمة الأكلان لجدار الرحم، ودائمة الامتصاص لمادة الحياة، والأم المسكينة تأكل وتشرب وتهضم وتمتص، لتصب هذا كله دماً نقياً غنياً لهذه البويضة الشرهة النهمة الأكول! ...ثم الوضع، وهو عملية شاقة، ممزقة، ولكن آلامها الهائلة كلها لا تقف في وجه الفطرة ولا تنسى الأم حلاوة الثمرة، ثمرة التلبية للفطرة، ومنح الحياة نبتة جديدة تعيش.. وتمتد.. بينما هي تذوق وتموت، ثم الرضاع والرعاية حيث تعطي الأم عصارة لحمها وعظمها في اللبن، وعصارة قلبها وأعصابها في الرعاية وهي مع هذا وذلك فرحة سعيدة رحيمة ودودة، لا تمل أبداً ولا تكره تعب هذا الوليد. وأكبر ما تتطلع إليه من جزاء أن تراه يسلم وينمو، فهذا هو جزؤها الحبيب الوحيد! فأنى يبلغ الإنسان في جزاء هذه التضحية، مهما يفعل، وهو لا يفعل إلا القليل الزهيد.." [66].

66 المصدر السابق، ج6، ص: 3262

4- اهتمام سيد قطب رحمه الله بعلم الفلك والفيزياء في تفسيره

في صدد حديثه عن تفسير قوله تعالى **(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)** [الملك:15] يقول رحمه الله:

" ...والناس لطول ألفتهم لحياتهم على هذه الأرض؛ وسهولة استقرارهم عليها، وسيرهم فيها، واستغلالهم لتربتها ومائها وهوائها وكنوزها وقواها وأرزاقها جميعاً.. ينسون نعمة الله في تذليلها لهم وتسخيرها...والقرآن يذكرهم هذه النعمة الهائلة، ويبصرهم بها، في هذا التعبير الذي يدرك منه كل أحد وكل جيل بقدر ما ينكشف له من علم هذه الأرض الذلول. والأرض الذلول كانت تعني في أذهان المخاطبين القدامى هذه الأرض المذللة للسير فيها بالقدم وعلى الدابة، وبالفلك التي تمخر البحار. والمذللة للزرع والجني والحصاد. والمذللة للحياة فيها بما تحويه من هواء وماء وتربة تصلح للزرع والإنبات...فمما يقوله العلم في مدلول الأرض الذلول: إن هذا الوصف:{ذلولاً }..الذي يطلق عادة على الدابة، مقصودة في إطلاقه على الأرض! فالأرض هذه التي نراها ثابتة مستقرة ساكنة، هي دابة متحركة... وهي في الوقت ذاته ذلول لا تلقي براكبها عن ظهرها، ولا تتعثر خطاها، ولا تخضه وتهزه وترهقه كالدابة غير الذلول!.. إن هذه الدابة التي نركبها تدور حول نفسها بسرعة ألف ميل في الساعة، ثم تدور مع هذا حول الشمس بسرعة حوالي خمسة وستين ألف ميل في الساعة. ثم تركض هي والشمس والمجموعة الشمسية كلها بمعدل عشرين ألف ميل في الساعة...ومع هذا الركض كله يبقى الإنسان على ظهرها آمناً مستريحاً مطمئناً

معافى لا تتمزق أوصاله، ولا تتناثر أشلاؤه، بل لا يرتج مخه ولا يدوخ، ولا يقع مرة عن ظهر هذه الدابة الذلول! وهذه الحركات الثلاث لها حكمة. وقد عرفنا أثر اثنتين منها في حياة هذا الإنسان... فدورة الأرض حول نفسها هي التي ينشأ عنها الليل والنهار..ودورتها حول الشمس هي التي تنشأ عنها الفصول. ولو دام فصل واحد على الأرض ما قامت الحياة في شكلها هذا كما أرادها الله. أما الحركة الثالثة فلم يكشف ستار الغيب عن حكمتها بعد..والله جعل الأرض ذلولاً للبشر بأن جعل لها جاذبية تشدهم إليها في أثناء حركاتها الكبرى، كما جعل لها ضغطاً جوياً يسمح بسهولة الحركة فوقها. ولو كان الضغط الجوي أثقل من هذا لتعذر أو تعسر على الإنسان أن يسير ويتنقل حسب درجة ثقل الضغط، فإما أن يسحقه أو يعوقه. ولو كان أخف لاضطربت خطى الإنسان أو لانفجرت تجاويفه لزيادة ضغطه الذاتي على ضغط الهواء حوله ، كما يقع لمن يرتفعون في طبقات الجو العليا بدون تكييف لضغط الهواء!...والله جعل الأرض ذلولاً بأن جعل الهواء المحيط بها محتوياً للعناصر التي تحتاج الحياة إليها ، بالنسب الدقيقة التي لو اختلت ما قامت الحياة، وما عاشت إن قدر لها أن تقوم من الأساس. فنسبة الأكسجين فيه هي 21% تقريباً، ونسبة الأزوت أو النتروجين هي 78% تقريباً، والبقية من ثاني أكسيد الكربون بنسبة ثلاثة أجزاء من عشرة آلاف وعناصر أخرى. والله جعل الأرض ذلولاً بآلاف من هذه الموافقات الضرورية لقيام الحياة...ومنها حجم الأرض وحجم الشمس والقمر، وبعد الأرض عن الشمس والقمر. ودرجة حرارة الشمس. وسمك قشرة الأرض. ودرجة سرعتها.. ونسبة

توزيع الماء واليابس فيها. وكثافة الهواء المحيط بها.. إلى آخره..إلى آخره. وهذه الموافقات مجتمعة هي التي جعلت الأرض ذلولاً..." [67].

و بعد عرض هذه المقتطفات الرائعة و هذه النماذج النادرة من تفسيره لكتاب الله عز وجل، يتضح لنا أصالة ونزاهة المنهج و الفكر النير، للأستاذ الشهيد سيد قطب، كما اتضحت لنا طبيعة من خلال عرض آراءه و ملامح فكره المؤهلات العلمية و الثقافية و الأخلاقية و الروحية وتنوعها الذي كان يمتع هذا المفسر المرحوم، مما جعلته رائدًا و مثاليًا يحسن الاقتداء به في هذا الفن. فرحمه الله رحمة واسعة و جعلنا من أمثاله، إنه تعالى أكرم مسئول و خير مأمول.

67 **في ظلال القرآن**، ج 6، 3637 - 3638

الخاتمة

ولقد توصل الباحث بحمد الله تعالى إلى ختام هذه الدراسة بتوفيق الله تعالى وبعد جهد جهيد و عمل متواصل، و أحمد ربي حمد الشاكرين المخلصين أن منّ علي بنعمة الصحة والعافية أثناء كتابة هذه البحث و بارك في وقتي، حتى تم في وقته المناسب. هذا، ويحسن بنا في هذا المقام - بعد أن تجولنا في عالم التفسير و مسالكه مع الأستاذ سيد قطب رحمه الله ، وعشنا في ظلال تفسيره واستمتعنا بمائه العذب وهوائه الطلق الصافي النقي، واستعلت أرواحنا و أفكارنا على مادية هذه الحياة الدنيا و تهافتها و انحطاطها - أن أورد أهم النتائج التي استطعت أن أقف عليها أثناء الدراسة . و من هذه النتائج:

لقد كشفت الدراسة عن عصر سيد قطب و صورتها السياسية و تكالب القوى الصهيونية والصليبية على الإسلام والمسلمين، حيث الاستعمار والحروب. كما كشفت الدراسة عن الحالة الدينية التي كانت حافلة بالاضطرابات والفتن و الصراعات المذهبية بين الشيوعية والإلحادية. بالتعرف على شخصية الأستاذ سيد قطب في إطار بيئته.. وقفنا على شخصية علمية من الطراز الفريد، ونموذج حي من أعلام التفسير. ولعل من أهم الأسباب التي جعلت سيداً ينجح في دعوته أيما نجاح، وأن يحظى تفسيره بحظ وافر، أن سيد قطب عاش في عصر المشاكل والتحديات الحضارية الغربية و الأمريكية. ومع كونه مفسراً وأديباً و ذا خبرة بعلم الاجتماع مما جعله يعيش قضيته و يتألم لآلام الأمة ، و يكون دقيقاً في تحليلاته واجتهاداته. أثبتت هذه الدراسة من خلال النظرة الموضوعية

والمنهجية المتجردة، أن سيد قطب رحمه الله طرق مجال الدعوة في تفسيره بمنهج علمي قرآني دقيق و متكامل، و أن هذا المنهج في فهمه لكتاب الله وافق قواعد الشرع و الأصول و اللغة. برزت شخصية الأستاذ سيد قطب كإمام في الدعوة و رائد في التفسير، من خلال مواقفه العلمية و الشخصية القوية أمام طواغيت عصره، فلم يكن حاطب ليل أو يقف موقف الناظر من بعيد دون التوغل و النزول إلى ساحة الدعوة في تفسيره لآيات الله تعالى. كما رصد البحث موقف سيد قطب من الأنظمة و الأوضاع الحالية، حيث لم يتساهل فيها، و إنما كان يجهر بالحق و لا يخشى في الله لومة لائم. لقد وقف الأستاذ سيد قطب في منهجه على قمة المذاهب والفرق العصرية و الهدامة في ذلك العصر، ومن رآه علم مقدار ما عنده من علم بأحوال العالم. سجل الأستاذ سيد قطب في تفسيره دعوته إلى تفسير ومنهج حركي الذي لم يسبق إليه من قبل، وأبرز مكانته كمفسر و داع مما فاق أقرانه ومعاصريه و كان خير مثال للمفسر يقتدى به في العصر الحاضر في كيفية تفسير كتاب الله عز وجل، مراعياً الواقع المعاصر و تحدياته ومتطلباته العلمية و الثقافية وملتزماً بآداب وبمنهج السلف الصالح، فرحمه الله واسعة و جعلنا من أمثاله إنه تعالى سميع قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

لمراسلة المؤلف يرجى كتابته على هذا العنوان :

drhafezi68@gmail.com

أو زيارة موقعه الشخصي

www.drhafezi.net

تم مراجعة هذه الدراسة مرة أخرى ضحوة يوم السبت الموافق لـ 3 ذي الحجة 1436 هـ

الموافق 2014/9/27 الدوحة - قطر

قائمة المصادر و المراجع

- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن بن الرومي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1986
- الإتقان في علوم القرآن، للإمام أبي عبد الرحمن السيوطي،(المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني).
- الأصولية الإسلامية – دراسة في الخطاب الإيديولوجي و السياسي عند سيد قطب، تأليف الدكتور أحمد موصللي (الناشر لطباعة و التوزيع والإعلان ، 1993م).
- البحر المحيط، للإمام أبي حيان الأندلسي، (المكتبة الالكترونية الشاملة- الإصدار الثاني) 2006
- بحوث منهجية في أصول التفسير، الصباغ، لطفي، المكتب الإسلامي، ط1، 1987، بيروت، لبنان.
- البرهان في علوم القرآن، للإمام أبي عبد الله برهان الدين الزركشي، (المكتبة الالكترونية الشاملة) الإصدار الثاني).
- التصوير الفني للقرآن، سيد قطب، دار الشروق، (ط.د.)، (ت.د).
- تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقي، دار القلم، دمشق، 1983.
- التفسير و المفسرون، محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، 2005.
- التمرد على الأدب – دراسة في تجربة سيد قطب، تأليف على شلش (الشروق، بيروت ، 1994م).

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تفسير الطبري، المسمى لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (المكتبة الالكترونية الشاملة)، الإصدار الثاني، 2006
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .
- خصائص التصور الإسلامي، قطب، سيد، ط8، 1983، دار الشروق، بيروت
- دراسات إسلامية، قطب، سيد، ط9، 1993، دار الشروق، بيروت.
- سيد قطب الأديب الناقد، تأليف صلاح عبد الفتاح الخالدي (مكتبة المنار الأردن ، 1983م)
- سيد قطب الشهيد الأعزل، تأليف محمد قطب، (المختار الإسلامي ، القاهرة ، 1973)
- سيد قطب الشهيد الحي، الخالدي، صلاح عبد الفتاح، ط2، 1985، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن.
- سيد قطب المفترى عليه، القحطاني، محمد بن دليم آل دليم، ط1، 1413هـ، دار الطيبة، الرياض.
- سيد قطب المفتري عليه، محمد دليم آل دليم، دار طيبة، الرياض ، 1992م.
- سيد قطب سيرة ذاتية، عبد الفتاح، علي، ط1، 1996، شركة الربيعان للنشر و التوزيع، الكويت.
- سيد قطب من القرية إلى المشنقة ، تأليف عادل حمودة ، (سينا للناشر القاهرة، 1987)
- سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد ، لصلاح عبد الفتاح الخالدى، (دار القلم دمشق 1991م
- سيد قطب و تراثه الأدبي و الفكري، تأليف إبراهيم بن عبدالرحمن البليهي. (الرياض ، السعودية ، 1972

- سيد قطب والنقد الأدبي، تأليف محمد الأول أبو بكر،(دار الرقاعي، الرياض، 1990م)
- سيد قطب، حياته و أدبه، عبد الباقي، محمد حسين ،ط1-1986، دار الوفاء للطباعة و النشر،المنصورة .
- سيد قطب، خلاصة حياته، منهجه في الحركة ،النقد الموجه إليه، بركات، محمد توفيق، بلا تاريخ.
- العدالة الاجتماعية، قطب، سيد، دار الإخوان للصحافة و الطباعة، مطبعة دار الكتاب العربي، 1952
- الفكر الإسلامي المعاصر- دراسات وشخصيات- سيد قطب، الموصللي، أحمد صلاح الدين؛ بحث مقارن لمبادئ الأصوليين و الإصلاحيين، دار خضر للطباعة و النشر، ط1-1990، بيروت.
- في ظلال القرآن –رؤية استشراقية، أوليفيه كاريه، ترجمة محمد رضا عجاج،ط1، 1993،الزهراء للإعلام العربي.
- في ظلال القرآن في الميزان - دراسة و تقويم- عبد الفتاح صلاح الخالدي،ط 1، 1986،دار المنارة للنشر .
- في ظلال القرآن، بقلم سيد قطب، ط 11، 1985، دار الشروق، القاهرة.
- قاموس الأعلام، الزركلي، خير الدين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1987
- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل، الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط2، 1989، دار القلم،
- كيف نتعا مل مع القرآن العظيم، القرضاوي، يوسف دار الشروق، ط1، القاهرة،
- لماذا أعدموني، قطب،سيد، كتاب الشرق الأوسط، الناشر الشركة السعودية للأبحاث والتسويق.

- مباحث في علوم القرآن، القطان، مناع، ط5، 1981، دار غريب للطباعة، القاهرة .
- مدخل إلى التفسير و علومه، زرزور ،محمد عدنان ،ط1، دار القلم، 1995، دمشق.
- المستقبل لهذا الدين، قطب، سيد، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، 1988، مطبعة الفيصل.
- مشاهد القيامة في القرآن، قطب، سيد، ط1، 1947 .
- مع سيد قطب في فكره السياسي والديني، تأليف مهدي فضل الله ، (بيروت، 1989)
- معالم في الطريق، قطب، سيد، 1980، دار الشروق، بيروت .
- مفاتيح الغيب، المشتهر بالتفسير الكبير للإمام محمد الرازي فخر الدين بن لعلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري،(المكتبة الشاملة)
- مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، خالد بن عبد الكريم اللاحم، ط1، 2004، الرياض، المملكة العربية
- مفاتيح للتعامل مع القرآن، الخالدي، صلاح عبد الفتاح، ط2، 1994، دمشق، دار القلم.
- مفتاح كنوز في ظلال القرآن، محمد يوسف عباس،دار الطيبة للنشر، ط1، 1987.
- مقدمة في أصول التفسير، للإمام ابن تيمية، ط2، دار الحديث، 1982، بيروت.
- مقومات التصور الإسلامي، قطب، سيد، ط 8، دار الشروق، 1983، بيروت.
- مناهج المفسرين، للمؤلفين :مسلم آل جعفر و محي هلال السرحان ،ط1، 1980، دار المعرفة
- نحو مجتمع إسلامي، قطب، سيد، ط8، 1988، دار الشروق .

- **نظرية التصوير الفنى عند سيد قطب، لصلاح الدين عبد الفتاح الخالدي (دار الفرقان ، عمان 1983م)**
- **هذا الدين، قطب، سيد، بلا تاريخ.**